من كتب القس فرنسيس بتراني لبناني

مصباح الهدى لمن اهتدى

قد استخرجه حديثًا من الافرنسية
الى العربية
المعلم جرجس زوين
الفتوحي الماروني اللبناني
تلميذ مدرسة غزير العامرة



طُبع بمطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت
سنة ١٨٦٩

* المقدمة للمترجم *

حمداً لمن انار عقولنا باشعة انواره، وشرح صدورنا بحكمة اسراره. اما بعد فاننا نطلب الحق روحاً وعقلاً، والخير قلباً ولباً، فنعرف الحق وبه نهتدي، ونفوز بالخير ولانعامه نجتدي. فسقياً لمن بانوار الحق استنار، وويحاً لمن قابله بالفرار، لقد ركب اهل العصر مطايا المعارف والعلوم، لكنهم عوضاً عن ان يلتقطوا درر الحق المبين ويبحثوا عن انوار الاولين وفوائد المتاخرين، قد فاقوهم بهتاناً واضاليل، ورغبةً باظهار الاعاجيب زادوا على كذبهم اكاذيب واية اكاذيب. الى ان نكروا على النفس الناطقة الوجود وقالوا لها: ما انتِ الا نتيجةٌ نجمت من وفاق تركيب هيولي الاجسام، والحقوها بالبهيمة والهوام. فلا حظكِ باعظم من حظ البعير، ولا من حمارٍ يأكل التبن والشعير. فقبحاً لبني ادم بما يدّعون، واف لرداء ضلال به يتردّون. ولما كانت انوار الحق تخرق ادلهمام الظلام، وحدّ سيوفه يفري متن الضلال، اتينا بهذه الرسالة تحفةً لمن رام الهدى. فدونكها يا صاح انها لخير مصباح ونعم المجتدى. فانلها ملقي الاغراض وقل: ربي منك الهدى فلا عنك بمستعاض *

* الفصل الاول *

* في من هم الذين يلتزمون بان يبحثوا عن الحق *
* وفي كيف ينبغي ان يبحثوا عنه *

ان من الناس من لا يبحث عن الحق لانه قد وجده وعرفه ومنهم من لم يحظَ بمعرفته لكنه يعتبره اعتبارًا جزيلًا ويبحث عنه باستقامة النية وخلوص القلب . وغيرهم مَن لا يبحث عن الحق ولا يعباء به . ولا يلتفت اليه . فانه لا يعرف الحق لكنه لعدم اعتباره اياه لا يكلّف ذاته للانشغال به *

فاننا نهنّي اهل الرتبة الاولى ونساعد اهل الثانية ونرثي لحال اهل الثالثة وان امكن فاننا نلقي في قلوبهم شعائر اوفق واولى *

فنقول للاولين . دونكم وشدة المحافظة على كنز تمتلكونه . فانه لحجر كريم يعلو قيمةً على جميع الخيرات كافةً *

ونقول لاهل الرتبة الثانية . شمّروا على ساعد الهمة وابحثوا عن الحق وضحّوا كل شيء لتملكوا هذا الكنز العديم المثل والشبه *

لكن ترى ما الذي نقوله لاهل الرتبة الثالثة . أفهل انهم يرتضون بان يسمعوا لنا ويتلوا صحفنا . فلربما شاء بعضهم ذلك . فلهولاء نقول *

اولاً . ان من لا يعرف الحق فقد فُرض عليه البحث عنه وان من لا يلتفت الى مسائل كلية الاهمية بذاتها وبعواقبها . اي بالمسائل الملاحظة النفس والديانة والابدية . فانما عدم التفاته هي اهانة ماحقة بالله وبالجنس البشري . وان ذا لاثم . وانه

مجنون . بل وانه لمن اعظم البلايا واكبر المصائب والنكبات *

لعمري أفهل يوجد الانسان في الكون ولا يبحث عن الواجبات التي يلتزم بتتميمها نحو خالقه ومولاه ولا يعتبرها ولا يعبأ بها . أما ان هذا اثم فظيع *

فيرغب الانسان السعادة ولا يسأل عن الطرق الموصّلة اليها . أما ان هذا لتباين غريب وجنون عجيب *

فيتقدم بالسن ولا يعرف ان كانت تنتهي خطواته الى لجة يتدهور بها وهو لا يبالي ولا يخاف ولا يبدي امرًا لينجو من التهلكة ويجتنب المصيبة . أما ان هذه حيوة احمق مجنون *

فمن اين اتيت . والى اين اذهب . وما هو مبدأي . وما هي غاية وجودي . لعمري ان من لا يلتفت الى هذه المسائل الجزيلة الاهمية ليس هو بانسان . لكنه إمّا انه فاقد العقل او انه لا يتصرف بموجب عقله *

ثانيًا . كيف ينبغي ان نبحث عن الحق . أ . باستقامة النية وبرغبة حقيقية لان نعرفه . وبارادة صادقة بان نعتنقه عند ما نعرفه *

ان من الناس من يخاف ان يرى جليًا . لانه خالٍ من رغبة الارادة . قال الروح القدس عنهم * ولم يشاء ان يفهم ليعمل الخير (مزمور ٣٥ ع ٤) * ومن الناس من يذهب باحثًا عن الحق وجيوش الاوهام تتقدمه . فانه لاكثر استعدادًا لمحاربة الحق من ان يقبله ويعتنقه . ومن ثم لكي يعرف الديانة تراه يرتشد ممن يقصد ملاشاتها وبحجة مطالعتها يتلو الكتب التي تحاربها . فيخال انه لا يشتغل بالبحث عن الحق

بقدر ما ينشغل ليجمع حوله غيوم الشك والارتياب وظلام السفسطية والاراء الملتوية . فانه لا يطلب النور بل يستعين بالظلام الحالك والدجى المدلهم . فنراه يتلو غيباً جميع الاعتراضات الكفرية قديمةً كانت او حديثة . لكنه لا يلتفت الى الجواب عليها اصلاً *

واخيراً . ان من الناس من يتوهم بانه قد سعى سعيًا كافيًا اذا ما تباحث برهةً عن الديانة مع من لا يعلوه معرفة بها ولم يتعلمها البتة . فكأنه يجهل بان اسمى العلوم واعمقها واهمّها والزمها انما هو علم الديانة . وانه لكي نعرفها معرفة حسنة لا يُعد كثيراً الدرس المتصل المقرون بعظم الانتباه *

٢ً . ينبغي ان نبحث عن الحق باتضاع وان نلتمس من لدن ابي الانوار ذلك النور المقتضي لمعرفتها . الويل للروح المتكبر المملو ثقةً بنفسه الذي يتوهم بانه يجد في ذاته دليل الحق الامين اي انه يجد قاعدة عامة منزّهة عن الغلط والضلال . فلكي ندنو من الله فاننا نحتاج اليه تعالى . على انه مركز كل نور ومبدا كل حق . فانما هو وحده يستطيع ان يهدي عقلنا في بحثنا عن الدين الحق وينيره باشعة انواره المبددة الظلام *

فلنستخدمنّ عقلنا فانه تعالى يريد ذلك . لكنه لا يبرح من ذهننا باننا اطفال وان عقلنا محدود . فمن ثم فلنضيفنّ عليه مفاعيل الصلوة التي تأتي بالنعمة . فالله يمنح هذه لانها ضرورية لضعفنا ويمنحها لانه وعد بها . فجوده وحكمته وعدله ذاته يلزمه بان يتنازل ويستجيب ما بُني على التعقل والصواب من رغبة خليقته الناطقة

التي انما خُلقت لاجل الحق ونبتغي معرفته واعتناقه *

افرحوا وتهللوا يا ذوي القلوب المستقيمة والروح الصادق * اطلبوا تجدوا (متى ص ٧ ع ٧) * اي نعم اطلبوا طلباً صادقاً. اطلبوا طلباً ثابتاً . اطلبوا باتضاع . فلا تنكر الشمس نورها على من طلب الضياء . ولا ينكر ابو المراحم خبز الحق على ولد يطلب الحق . قال الرب * من كان عطشاناً (اي للحق والسعادة) فليأتِ ويشرب (يوحنا ص ٧ ع ٣٧) *

انه لكي نصل بأمن الى الغاية التي نقصدها يجب ان نسير بترتيب وخطوة فخطوةً . ولنسر بنية مستقيمة وبكامل الخلوص والصدق قال النبي * ان طلبتم فاطلبوا (اشعيا ص ٢١ ع ١١) * اننا نذهب مفتشين عن الحق ونطلب الاكتشاف على السعادة وتحصيلها . فانما ذا يلاحظ خيري الابدي أفهل من امر اهمّ منه . اللهمّ علّمني ارادتك . انر عينيّ . وانعم عليّ لكي بقوة صلاتي الصادرة عن قلب متضع اكون اهلاً لقبول نعمتك وانوارك *

* الفصل الثاني *

* في ان العقل يقنعنا بوجود الديانة *

انه ما من انسان عاقل يرتاب بوجود الديانة كما وانه لا يوجد عاقل يرتاب بوجود الله تعالى . فلم تأت الكفرة قط بحجة مقبولة ضد الديانة . فهذا دليل اكيد بانه يجب الاعتقاد بها . ان البراهين الساطعة والادلة الواهنة التي تبين الديانة وتؤيدها هي مبات والوف لكنه بدون ان ندخل بهذا التفصيل والاسهاب فاني اقف عند اعتبارين واسأل الكفرة مستفهماً . لماذا لا تؤمنون بديانة . وما هي الفائدة من عدم ايمانكم بها *

اولاً . لماذا لا تؤمنون بديانة . يا ترى أفهل لكونكم تفتكرون بان الله تعالى لا يهتم بالانسان ولا يعبأ باكرام مخلوقاته وان لا ثواب تتوقعونه ولا عقاب تخافونه في الاخرة وان نفسكم تعود الى العدم نظير ارواح البهائم . لكنني استعلم منكم قائلاً . أفهل انكم متاكدون ذلك . اما انا فاني متأكد الخلاف على ان الصواب يعلمني كما يعلم كل ذي عقل صائب بانه يوجد اله وان هذا الاله هو كامل كمالاً متسامياً وانه قادر على كل شيء وانه يحب البشر وان البشر تحتاج الى مساعدته . فاذاً اني اعلم حسناً بانه يستحق ان يُحب ويُعبد من البشر ويجب ان يلتجئوا اليه ملتمسين عونه الالهي . واشعر باني قادرٌ على ذلك . فلماذا لا افعله واجريه *

ولو انه لا يحتاج تعالى لاكرامي فمع هذا لا يستحق ذلك اقل استحقاقاً فالصواب يرشدني باني ملتزم له بهذا الاكرام ويجب عليه تعالى ان يتطلبه مني . فوالحالة هذه ان نكرته عليه فلا بد من ان يهان مني . فمع ان الملك لا يحتاج لاكرام عبده ترى هل انه يستحق ذلك اقل استحقاقاً وترى هل جلالته الملوكية تنقص اهانتها اذا ما نكر عليه ذلك العبد الحقير الاكرام المتوجب له *

فالعقل يرشدني بانه اذ قد خلق تعالى اشياء كثيرة لاجل خدمتي فيجب عليّ ان أودي له الشكر عنها . فان كان قد اعطاني الحرية فلا يقتضي ان اسيء الاستعمال بها . وان كان قد اعطاني الجسد فينبغي ان احفظه في الاداب والحشمة وان كان قد اعطاني العقل فيجب عليّ ان اعيش عيشة خليقة ناطقة . وانه حيث وضعني في الارض نظير باقي البشر فيقتضي ان اعيش معهم بكل خضوع وسلام . وانه اذا ما نقّصت وقصّرت بكل ذلك متصرفاً ضد مقاصده واوامره الالهية فاستوجب القصاص والعقاب . وبالعكس اني استحق الجزاء والثواب اذا ما حفظت اوامره وجاوبت على مقاصده الازلية . فلو كان الامر على خلاف ذلك لكان الانسان بدون قانون ونظام وبدون اصول وزمام فحينئذ لا تكون الجمعية البشرية سوى مجموع ممسوخ بل وعمل لا يليق بالله الحكيم القدير *

فيقول لي العقل ايضاً اني ذو فطرة تعلو علواً غير متناه على

الحيوانات وان الاله ذا الحكمة الغير المتناهية لم يستطع ان يخلق البشر الّا لغاية اهل لحكمته . وانه لما كان تصرف كاله لو كان لم يقصد سوى بان يخلق اناسًا قساة اشرارًا وشهوانيين . وانه بتكوينه السماوات وهذه العوالم العظيمة مع هذا المجموع البليغ من المخلوقات لاجل خدمة الانسان قد اعد هذا الانسان لامر عظيم عديم الزوال . وانه بحيث هكذا مصنوعات عجيبة خُلقت لاجل الانسان فينبغي ان يكون الانسان ايضاً لاجل مجد الله اعني لكي يمجده تعالى . وكل غاية خلاف هذه انما هي غير اهل لله ولا تليق به تعالى *

اني لا اقدر امجده تعالى تمجيدًا كاملاً في هذه الحيوة بسبب ضعفي ولا يمكنني ان امجد فيها مدة زمان مديد لان الحيوة الحاضرة قصيرة فاذا توجد حيوة اخرى اعظم واكمل استطيع ان امجده فيها تمجيداً كاملاً ابديًا *

اخيراً اني اشعر في نفسي برغبة الحصول على الغبطة والسعادة وهذه الرغبة ليست مني بل قد غرسها الخالق في قلبي وبجّنها في نفسي ولا استطيع ان اكون سعيدًا في هذه الحيوة حيث لا اشعر سوى بالمصائب . فاذاً يقتضي ان توجد حيوة اخرى حيث استطيع ان اكون سعيداً والّا فالله الذي قد اعطاني رغبة السعادة فيكون قد تصرّف عبثاً وباطلاً باعطايه اياي رغبة ذات موضوع لا حقيقة له . الامر الذي لا يمكن التفوه به عن الاله كلّي الحكمة . فوالحالة هذه أما انه من العدل والصواب ان اجدّ واجتهد لاستحق السعادة والغبطة في الحيوة الاخرة *

فالايمان بكل ذلك هو عين الايمان بالديانة وهذا ما يقنعني به عقلي وهذا ما تؤمن به سائر القبايل والشعوب وهذا ما امنت به مشاهير الناس في جميع الدهور والاعصار. وهذا كافٍ ليؤكد مبينًا بان ما اومن به واوقن بصحته ليس هو ايمان انسان جسور يؤمن بدون دليل ولا اثبات . فيلوح لي ان كل هذا صوابي واني اتصرف تصرف انسان عاقل اذا ما امنت على هذه الصورة *

ثانياً . ما هو سبب عدم ايمانك بديانة وما هي المنفعة التي تجتنيها من عدم ايمانك بالديانة . فلا حجة لك بذلك سوى بعض ارتيابات مبنية على لفظة ربما . فاذاً يجب ان تقتنع بانك مغشوش واذا ما انغشيت منخدعًا كما واني متأكد بانك على ضلال مبين أتعلم الى اي شيء تعرّض ذاتك *

اما انا فضلاً عن اني متأكد باني غير مغشوش فاني متأكد مع ذلك باني لا اعرّض نفسي لشيء ولا اخاطر بامر . فهذا الاعتقاد يثبتني في واجباتي وسيرتي ويجعلني محظوظاً ويخفف ملطفًا عذابات هذه الحيوة ومشقاتها جاعلاً اياي ان اترجى غبطة لا نهاية لها في الحيوة العتيدة . اما انت فبالعكس ان كنت لا تؤمن بديانة ولا بحيوة اخرى فلا سبب لك لفعل الخير ولا لجام لكبح ذاتك ولا تعزية ثابتة في مشقاتك ولا رجا لان تكون سعيداً مغبوطاً . وعدا هذا كله فانك تخاطر بان تكون شقيًا للابد . فعوضًا عن ان تعود الى العدم

كما تزعم متوهماً فانك تخاطر بالسقوط في تعاسة مؤبدة . فوالحالة هذه ما هو سبب مخاطرتك . اين هو عقلك . اين هو رشدك . كيف تخاطر في كل شيء وذلك مدى الابدية بناءً على افتراضات كاذبة وتوهّمات مخيليّة *

فالكفرة تشعر بقوة هذا البرهان الذي يثقل عليهم ويزعجهم . فلو فرضنا ان من كان منهم اكثر جسارة تأكد بانه يموت بعد ثمانية ايام ترى هل انه يكون راضياً ومحظوظاً من ذاته . فياما اعظم خوفه واشد رعبته . فيالعظم يأسه عند دنو المنية . فانه يفتخر بكونه ذا عقل ثاقب ونيّرة زكيّة وانه متفتّح العقل لكن هذا الفخر يأول الى خزيه . لانه ترى ما هو مآل هذا الادّعا والاعتماد على العقل . انه يأول الى تقهقر هولاء المتفلسفين وفسادهم والى اقتناعهم بكونهم من مصاف الحيوانات وان نفسهم نظير نفس البهائم هيولية ومن طين . وانه لا عقاب للرذيلة . فيجتهدون بتصديق هذا المدّعي لكي يسلموا ذواتهم لشهواتهم بكل حرية . فاذاً أفهذه هي علامة ذكاء العقل . بل بالحري فلنقل بان ما من شيء في هذا المذهب المكروه الّا ويدلّ على ضعف القلب ووطوءه وفساده . وما من شيء فيه الّا وعديم اللياقة بانسان اديب ويخالف حكمة القادر على كل شيء *

فاذا ما كان تصور الانسان مستقيماً في شرف الجنس البشري وعظمة الله تعالى فمن الممتنع ان لا يقرّ معترفاً بوجوب وجود الديانة *

* الفصل الثالث *

* في عمى الكفرة *

اولاً . ان الذين يحاربون الديانة كان يجب عليهم اقله ان يتعلموا ويتفقهوا و يفحصوا عمّا يقع البحث عليه . لانه لا مسئلة هنا عن خرافات طوعية وافتراضات اختيارية بل انما المسئلة هي عن ما يجب ان نخافه ونخشاه او نؤمله ونرجوه مدى الابدية . على ان الحيوة العتيدة التي هي اخص معتقدات الديانة وتعاليمها هي امرٌ مهمّ جداً حتى ان من لا يعبأ ويهتم بها ينبغي ان يكون فاقد العقل احمق *

فليست المسئلة هنا بان يتعلم الانسان ويفهم ويدرك ما هي الحيوة العتيدة ولا بان ندرك جميع اسرار الديانة بما اننا نشاهد ونؤمن يومياً باشياء عديدة لا ندركها . انما المسئلة هي بان نفهم وندرك ان كان يجب ان نعتقد ونؤمن وبماذا نخاطر ان كنا لا نؤمن . ولاجل هذا ينبغي ان نستشير العقل والقلب *

فالحس العام يعلمنا بان خيرات الدنيا وشرورها تزول وتنتهي . وان المنية عن قليل اما انها تعيدنا الى العدم او تنقلنا الى حيوة اخرى . والحال ان من يتكلم عن حيوة اخرى فانه يعني بها السماء او جهنم . اما السما فليست للذين يستهزؤن بها فاذاً لا يمكنهم ان يستنظروا ألّا جهنم او العدم . فعبثاً يصرّون على ارائهم ويثبّتون قلوبهم فلا بد من ان يتوصلوا الى ذلك . فبموجب مذهبهم يقرّون معترفين بانهم سوف تكونون

مدى الابدية بكمالها تعساء واشقياء او عدماً متلاشياً .
لكن ترى اية حالة تكون حالهم فانهم يجهلون ذلك . فاذاً
يجب عليهم ان يجدّوا في العلم والارتشاد لئلا يخاطروا بانفسهم
ويكونوا تعساء اشقياء مدى الابدية *

ثانياً . فلكي نبيّن تبياناً جلياً عظم جنونهم وعماهم الفظيع فلا
يقتضي سوى بان نبيّن ما يجري في بواطنهم وضمن انفسهم .
فهاك ما يتعللون به مبرهنين . فيقول الكافر اني لا اعرف ما
هو انا ولا ماذا يحلّ بي فيما بعد . وان كل ما افهمه واعرفه
هو اني عتيد ان اموت . وانني لدى خروجي من هذا العالم
اسقط اما في العدم نظير البهايم او بين ايدي الله لكي أحاكم
وأدان . لكن لا اعلم اية حالة منهما تكون قسمتي ونصيبي .
فالمسكونة باسرها تقول لي ان من يعيش عيشة شريرة يقع بين
يدي الله ليُعاقب . لكنه قلّما يهمني ما تؤمن به الناس .
فاني اعول على خلاف ايمانهم . ولا يهمني كلما يمكن حدوثه
فلا اعباء بما سوف يجري ويتفق فاني ابتغي ان اعيش بحريتي .
واني ارى جيداً انه اذا ما كان جهنم وجرد وعشت مثل هذه
العيشة فاني اعمل كلما يجب ان يلقيني فيها . لكن لا يهمني
الامر ولا ابالي فاني اريد بايما خطر كان انتظر الموت لكي ارى
ما الذي سوف يكون *

فبالحقيقة ينبغي ان يكون الانسان عدواً كبيراً لذاته . لكي
يفتكر مثل هذا الفكر بامر ابديته . فمثل هذا التعليل هو غير
قابل التاثير بعقل انسان عاقل . على اني اسأل مستفهماً لماذا

يتعامى الكافر بهذا الامر الجزيل الاهمية والفايدة . فمن اين يتاتي بانه لا يتعلل مبرهنًا على باقي الاشياء كما يتعلل ههنا . فانه يتحفظ متحرزًا لئلا يسقط في العوز والفقر ويمضي ليله مكدرًا محزونًا اذا ما خسر وظيفته او ماله . وهذا الانسان عينه الذي يعرف متاكدًا بانه بعد ايام قلايل عتيد اما ان يتلاشى بالموت او يسقط بتعاسة ابدية وشقاوة لا نهاية لها ومع هذا فانه يلبث مطمئنًا ولا يعتريه قلق ولا اضطراب *

فمن يحس هكذا ويتوجع بسبب خسائر هكذا خفيفة وقصيرة المدة ويقسى على ذاته ويعدم كل حس نحو ابديته فهذا ليس فقط اعمى بل انه غضب عظيم يرينا جليًا بان اصبع الله ههنا . وانه ترك تعالى هذه العقول المتكبرة المتعجرفة الى فساد حواسهم *

فينبغي ان يكونوا اخطأوا خطأً عميقًا وان تكون الشهوات والالام افسدت عقولهم فسادًا غريبًا لئلا يروا ما يعرضوا انفسهم اليه . اذا أبوا الايمان بما تؤمن به سائر قبائل المسكونة . فعبثًا يستترون بوشاح الاداب فانه سهل ان نحكم بما يقتضي ان نفتكر بهم . ليت شعري ترى ماذا يحل بالجمعية البشرية لو افتكرت الناس كافةً بمثل هذا الافتكار . فليفتخروا بذكاء عقولهم وسمو نيرتهم فاننا نقابلهم بمجانين استولى عليهم داء السرسام ولا قوة لهم سوى بان يضروا بانفسهم وبغيرهم معًا *

* الفصل الرابع *

* في انه لا توجد الَّا ديانة حقيقية واحدة *

اولاً . انه في جميع اصقاع المسكونة قد وُجدت دائمًا بعض علامات الديانة وممارسات دينية ووجد كهنة وذبيحة واماكن مكرسة لله . وقد راينا في كل الامم والشعوب احترامًا عميقًا للاله . ومن توهم الخلاف اضحى مكروهًا مبغوضًا مستوجبًا كل عقاب . ففي كل هذا لم تنخدع الناس وتضل *

لكن ترى ما الذي قد حدث . ان الرذيلة لما افسدت عقول الناس فاظلمت افكارهم ايضًا نحو الديانة . وتصورها الاكثرون بتصوّرات كاذبة وتوهموا حسب رغبات قلوبهم اديانًا ليست الَّا مجموع محالات وخرافات واضاليل كاذبة . وفي هذا ضلت امم كثيرة وشعوب وفيرة . ومن هنا قد تاتت انواع اديان يقصر اللسان عن تعدادها *

ثانيًا . فمن اعتقد بان الحق سبحانه وتعالى يصادق على كل هذه الاديان المتنوعة وان الانسان يستطيع الخلاص في كل منها . فهذا لعمري لا يعرف الديانة ولا يعرف الله تعالى . على ان الله واحد فاذًا الديانة واحدة ايضًا . فالاله الحق هو واحد فقط فاذًا الدين الحق هو واحد فقط . فحقيقتان متناقضتان لبعضهما يبرحان من ان يكونا حقيقتين . وهكذا دينان متناقضان لبعضهما يبرحان من ان يكونا دينين حقيقيين . فالله هو هو ذاته مدى الدوام وروح الحق هو وحده في كل مكان . فاذًا

الحق هو هو نفسه في كل مكان والله يصادق عليه ويثبته في كل مكان كما انه تعالى يرزل الضلال والكذب في كل مكان *

فمن الممتنع ان يكون القرآن حقيقةً عمل الله في الديار الاسلامية وان يكون حقيقةً عمل الشيطان في الديانة النصرانية . وان الانجيل هو صدق وحق في الديار النصرانية وكذب في الديار الاجنبية . وان الحبر الاعظم هو نائب السيد المسيح في رومية العظمى وانه المسيح الدجال في الديار الابروتستانية . فاذاً الاله الحق من الممتنع ان يشاء بان تؤمن الناس في الديار الاسلامية والديار البروتستانية على نوع وتؤمن في رومية والديار النصرانية بعكسه *

فالله هو روح الحكمة والقداسة فاذاً من الممتنع انه يصادق على فساد العقل البشري وجنونه . والحال لو صادق الله على كل الاديان لكان ينبغي ان استسير كوثني ما بين الوثنيين واعبد الزهرة والمشترى نظير هولاء الضالين واكرمهما باكرام مفسود وعبادة قبيحة ذات عار وهوان يأبى العقل السليم استماعهما . فمن افتكر على هذه الصورة فانه لا يعرف الله ولا يعترف به تعالى . لعمري ان الكفر بالله ونكران وجوده تعالى هو على نوع ما اقل شناعةً من هذا المذهب *

فالله تعالى هو هو ذاته في كل مكان فاذاً يتطلب احتراماً واكراماً هما هما ذاتهما في كل مكان . لان الناس جميعاً مستنيرين في كل مكان بنور طبيعي هو هو ذاته . فمن الممتنع ان يُكرَّم الله ويُعبد الّا بديانة واحدة مقدسة تليق به . فعليه تعالى ان يرسم

ويفرض لنا هذه الديانة ويلتزم جلّ وعلا بان يعطي جميع الناس وسائط لمعرفتها ، فهذا ما عمله تعالى وصنعه بالديانة المسيحية *

* الفصل الخامس *

* في ان الديانة المسيحية هي الدين الحق *
* وانها مقدسة وكاملة *

اولاً . لو قلنا انه فيما بين الاديان الموجودة في العالم احدها يعلم اسراراً غير مدروكة لكنّ الذين يؤمنون بتلك الديانة هم ذوي تصورات سامية وافكار عالية بما اختص بعظمة الله وصفاته الجليلة ، وانه توجد في تلك الديانة ذبيحة اسمى واعظم واليق مما يُقدم للعزة الالهية ذات الجلال المتعالي ، وانه يوجد فيها طقوس واحتفالات كلية القداسة حتى انها ترفع نحو الله روح الذين يحترمونها ويتعلمونها *

فلو قلنا ان سيرة الذين يتبعون مبادي هذه الديانة لعجيبة مذهلة وان محبتهم لبعضهم لا حدّ لها ولا قياس ، على انهم ليس لهم سوى روح واحدة وقلب واحد بل انهم يسرون ايضاً ويفرحون بصنيع المعروف نحو من قد ساء اليهم واضرّ بهم ضرراً عظيماً ، ففيما بين هولاء المؤمنين من يملك شيئاً يلوح بانه لايملكه الّا ليوزّعه صدقةً ويتكرم به سخاءً ، وفي كل ما يصنعونه لايطلبون مجد العالم ولا ربحاً ذاتياً *

فالملوك الذين يؤذنون بل ويأمرون بممارسة هذه الديانة في ممالكهم ليس عندهم رعايا اكثر امانةً وارباب احكام اكثر استقامةً ومتوظفون اكثر اهلاً للثقة وجنوداً اشد غيرةً واكبر همةً ونشاطاً ممن يمارس هذه الديانة ويستسير بموجب تعاليمها *

فجميع الذين يتبعونها يعيشون عيشةً ذات نقاوة هذا حدها حتى انهم لا يؤذنون اصلاً لعقولهم ان تشتغل بامور لا طائل تحتها ولا بافكار خطرة مضرة . والنساء المؤمنات هنَّ ذات احتشام واداب هذه حدها حتى انهنَّ اضحين موضوع احترام واكرام حتى وعند الذين لا يعتبرون اصلاً الحشمة والاداب *

فاخص اهتمام هولاء المؤمنين هو ان يقدّموا الاكرام لله ويصنعوا كل شيء لاجل مجده تعالى ويفتكروا اكثر افتكاراً به جلّ شانه ويسلموا لجودته تعالى متوكلين على عنايته الالهية في كل الامور . فاعذب مسامراتهم والذ احاديثهم بان يتحدثوا عن عظمته الالهية ويثنو المديح على صفاته الازلية وهم مغرمون بحبه غراماً هذا عظم مقداره حتى انهم يبتغون الموت من ان يرتكبوا ما يغيظه بل وانهم مستعدون ان يبذلوا ذواتهم لاجل اخوتهم *

فانهم يستسيرون سيرةً خاليةً من التصنع والتلبس والتنكر والطمع . فحال كونهم خايفين الله خاضعين لاوامره الالهية تراهم راضيين مسرورين بكلما يحدث ويجري لهم . فلا هم ذوي اخلاق متوحشة ولا ذوي مزايا ثقيلة مزعجة . بل انهم مسامرون لطفاء ادباء ظرفاء ازكياء عقلاء ينشرحون انشراحات نقية ادبية منزّهة عن كل شائبة *

وانهم منذ تشييد اركان ديانتهم قد قام منهم اعظم مشاهير العلماء واكبر عظماء الفقهاء واسمى القرايح الجوادة فارشدوهم وعلّموهم وهذّبوهم بموجب مبادي هذه الديانة . وانه اذا ما

وجد بينهم مشكل في احد التعاليم فحالاً ذلك الذي بيده السلطة من الله ذلك الذي هو معصوم عن الخطا يحسم القضا بالديانة فيخضعون ممتثلين لحكمه *

نشدتك الله قل لي ما الذي تفتكره بهذه الديانة . فبالحقيقة انك تجيب قائلاً ان هذا لشيء الهي وان مثل هذه الديانة لا يمكن ان تاتي الا من السما . فكانك بي لك قائلاً . هاك يا صاح هذه هي الديانة المسيحية . فهذا ما يصنعه المسيحيون اذا ما اتبعوا مباديها *

ثانياً . ان الديانة المسيحية ليست هي مقدسة فقط بل انها تجعل الناس قديسين ايضاً . فكل مبادي الفلاسفة الوثنيين وشرايع الاديان الاجنبية لم تستطع ان تعمل انساناً واحداً كاملاً . فما لم تستطع فعله الاديان كافةً بانسان واحد في مدة الاعصار السالفة والاجيال العابرة ها قد فعلته الديانة المسيحية في قليل من الزمان بملايين ملايين من الناس *

فاذا ما وجد في الاعصار القديمة رجل قد ضحّى حياته وامواله حبًا بالوطن وبعبادة الهته الكاذبة فكانت الناس تعتبره اية ومعجزة وان يكن ذا رذايل فظيعة وخصال قبيحة . اما الديانة المسيحية فقد صنعت معجزات وابدت ايات كثيرة مذهلة . فلدى التبشير بها رأيت مسيحيين لا عدد لهم قاوموا الموت مدافعةً عن عبادة الاله الحق وكثيرون غيرهم حتى ومن العظماء والسادات قد تركوا كل شيء وكرّسوا ذواتهم لممارسة سائر الفضايل *

انه من المعلوم الجلي البيان ومن المؤكد العاري عن كل شبهة وريب هو ان الطهارة هي فضيلة عجيبة تفوق باقي الفضايل صعوبة. انها فضيلة هكذا مجهولة لدى الوثنيين حتى انه في كل الممالك الرومانية الشاسعة الاقطار لم يوجد الا ست عذارى لا غير قد كرّسن طهارتهن لخدمة هيكل الالهة فيستا وقد حازت تلك العذارى انعاماً عظيمة واكراماً ملوكياً . لكنه عندما كان يقتضي الامر ان يبرزن نذر العفة الى مدة من الزمان فبالكاد كنت ترى من تقيّد ذاتها بهذه الوظيفة الشريفة حتى ان الملك اغستوس قيصر اضطر ان يمنح انعاماً اخرى جديدة للواتي يرمن ان يتقيّدن بهذا النذر *

والحال انه ما بالكاد استطاعت الدولة الرومانية عمله في عدد هكذا عظيم قد فعلته الديانة المسيحية بسرعة وثمرة يكلّ عن وصفهما اللسان. أما قد رأينا قليلاً بعد اذاعة الانجيل جماهير البتوليين والبتولات في اربع اقطار المسكونة كرّسوا طهارتهم لله ولم يغرهم احد عليها بالمواعيد والانعام. معاذ الله. بل كانت الناس تجدّ بابطال مقاصدهم وفسخ نذورهم متهددينهم بالوعيد ومعذبينهم باقسى العذابات . وكثير من اولئك العذارى الفاضلات غب ان رفضن الاقتران باختان اغنياء شرفاء احببن ان يقاسين الموت ولا ان ينقضن بالامانة نحو الله . وفي ايامنا هذه أما انه توجد مليونات من الانام الذين يحفظون العفة حفظاً عجيباً لا يشوبه عيب ولا دنس *

فلتعترف بنو البشر وتقرّ عند هذه العلامات بان الديانة

المسيحية هي الهية وفوق مقدرة الناس . فهي مقدسة وهي وحدها قادرة ان تجعل الناس قديسين وتصيّرهم كاملين . فاذاً هي وحدها لايقة بالله . فاذاً هي وحدها حقيقية *

فمن نسب فساد كثيرين من المسيحيين الى قداسة هذه الديانة المقدسة فانه يهينها ويشينها . ولم تبرح مع ذلك من ان تكون عمل الله . فهي دائماً مقدسة على انها ترزل وتشجب كل فسادٍ . فالويل للذين يدنسونها والويل للذين باعتقادهم بديانة مقدسة لا يعيشون عيشةً مقدسة *

وانه لتعليل فاسد احتقار هذه الديانة بسبب نقائص الذين يكرزون بها . على ان الواعظين ليسوا ارباب الحقائق التي يبشرون بها كما ان المهندسين ليسوا ارباب المبادي الهندسية التي يعلّمونها . فحقائق الديانة المسيحية مهما كانت للافواه التي تنطق بها والالسنة التي تنادي بها فهي لا تزال حقائق دائماً طاهرة ودائماً مقدسة . كالماء فانه دائماً صافي رائق سواء مرّ بقناةٍ معدنية او بقناةٍ ذهبية *

* الفصل السادس *

* في ان الديانة المسيحية هي الهية في مبدعها *
* فاذاً هي حقيقية *

اولاً . اني لمتأكد بان يسوع ابن الله مبدع الديانة المسيحية قد وُجد على الارض اكثر من تأكدي بانه قد وجد الاسكندر العظيم والملوك القياصرة . فاني اؤمن بانه قد وجد الاسكندر لان المؤرخون يخبرون به . فلِمَ لا اؤمن بانه قد وجد يسوع المسيح فيما ان مؤرخين لا يُحصى عددهم وعلماء كثيرين يؤكدون ذلك . فالمؤلفون الذين كتبوا سيرة مشاهير الناس وسطروا حيوة القياصرة كانوا احياناً اناساً معيبين ومتغرّضين . وان من المؤلفين القليلي العدد كثيراً ما اخبروا بما لم يعاينوا . او انه قد وجد من ضاددهم بما اخبروه . ومع ذلك نرى الناس يصدقونهم ويثقون بكلامهم . اما الذين قد تكلّموا عن يسوع المسيح وكتبوا حياته فهم كثيروا العدد . وكانوا اناساً لا لوم فيهم ذوي سيرة مقدسة نقلوا ما قد عاينوا واخبروا بما شاهدوا وكتبوا ذلك وبشروا به على رؤس الملا . ولم يتجاسر احد ان يكذّب شهاداتهم بل وانهم احتملوا الموت تثبيتاً لها . فلِمَ لا نصدقهم ونثق بكلامهم *

فخلا هذا ان كتب الانبياء التي الى ايامنا هذه لم يشوبها تغيير ولا تحريف الكتب التي قد حُفظت منذ اربعة آلاف سنة باكرام لا يوصف من امة اليهود اعداء النصارى . فهذه الكتب قد بشّرت بالمسيح وانبأت عنه . فمنها ما قد تنبىء

عنه قبل بالف سنة وغيرها قبل بالفين سنة من ان ياتي الى العالم . فهولاء الانبياء الكرام قد تنبأوا عن تجسد ابن الله في احشاء عذراء وتنبأوا عن زمان مجيه وعن محل مولده وظروف حياته وموته ومعجزاته وعجائبه وقيامته وذبيحته وديانته . فكل شيء قد كُمل وتمّ حسبما قد تنبأوا به . فاذاً يجب عليّ ان أؤمن بذلك *

ثانياً . ان يسوع المسيح نفسه قد اعلمنا بلاهوته بقداسة حياته وبعمق تعليمه وبقوة اياته ومعجزاته . فقد قال انه هو اله واثباتاً لذلك صنع المعجزات في حال مولده ومدة حياته وصنع الايات عند موته وبعد موته . وتلك المعجزات قد جرت امام شعب بكماله واُذيعت من شهود عيان من دون ان يكذّبها احد وقد تثبّتت وتأكدت في المجامع وامام المتعصبين . واقرّ واعترف بها اليهود وعبدة الاوثان والاصنام واعداء يسوع المسيح انفسهم الذين قد سجّلوا صورة واقعة حالها في سجلاتهم وسجلات المملكة ذاتها . فان الارتياب بان يسوع المسيح هو اله انما هو ضرب من التعامي والجنون . فانه قد بشر بديانة الهية بالاسرار العظيمة التي تقدمها بديانة مقدسة محضاً بنقاوة مباديها . بديانة جزيلة الكمال حتى انها هي وحدها تليق بالله واهلٌ له تعالى وانه لا يمكن للانسان الّا يتعجب وينذهل منها متى عرفها *

فلاجل تشييدها قد انتخب له السجود اثنى عشر رجلاً فقراء جهلاء اميّين . لكنه املأهم نوراً وقوةً حتى انهم شيّدوا

اركانها في كل الارض بقليل من الزمان ، ففعلةٌ هكذا ضعفاء لاجل عمل هكذا عظيم ووسائط قليلة المناسبة لتنجيحها كل هذا يرينا بان الله تعالى كان يتكلم بافواههم وانه لم يكن انتخب آلةً هكذا خفيفة لمقصد هكذا عظيم الّا ليخزي كبرياء العالم كما سترى ذلك في الفصل الاتي *

* الفصل السابع *

* في ان الديانة المسيحية هي الهية في تأسيسها *
* فاذاً هي الديانة الحقيقية *

اولاً . يا لعظم الفرق الموجود بين انشاء الاديان الاخر وبين تأسيس الديانة المسيحية وتشييدها . فالاديان الوثنية قد انتشت بالخرافات وفساد القلوب وباقي الاديان الاخر الكاذبة انتشت بالسيف والخداع او باطلاقها العنان للحرية وخلعها نير الطاعة والامتثال . لعمري ترى ما الذي يوجد في هذه وليس هو بشرياً صرفاً . ليت شعري وهل يليق بنا ان نتعجب ان بدع لا تُحصى عدداً وافقت الشهوات والاميال المنحرفة قد نجحت نجاحاً غريباً *

ان دين يسوع المسيح . الدين المضاد محضاً للاميال البشرية والشهوات الجسدية . الدين الذي هو فوق قوى الطبيعة والعقل البشري قد انتشى وتوطّد وتشيدت اركانه وتاثدت من اثني عشر رجلاً اميين وذلك قسراً عن مقاومة العلماء ومحاربة الحكماء واضطهاد ملوك الارض . فهذا لعمري امر الهي محض *

فبالحقيقة حالما انذر بطرس هامة الرسل بالديانة المسيحية بحضرة جمهور من كل امةٍ وقبيلةٍ آمنت الوف بيسوع المسيح وشاع خبر هذه الديانة المجّلة حالاً واملاء الارض . فكنت ترى المجامع والمجالس والدواوين والعلماء والحكماء والكهنة والاحبار

والملوك والسلاطين هائجين على ملاشاتها . فقد ارتجت الامم وقامت ملوك الارض . فسار بطرس الى رومية اعلم المدن وافقهها عاصمة المسكونة فبشّر بها امام نيرون قيصرها المتجرف . فانهى هذا المغتصب تحت عقاب القتل عن الاستماع لهذا الرجل الغريب . فقسراً عن نهي الملك ومنعه بشّر بطرس بيسوع المسيح فسجدت له السكان حتى وآل الملك انفسهم واهل بلاطه *

اما باقي الرسل فبشروا في بقية اقطار المسكونة فهُددوا بالقتل فقالوا * ان كان عدلاً قدام الله ان نطيعكم اكثر من الطاعة لله فاحكموا لاننا ما نقدران لا ننطق بما رأينا وسمعنا (ابركسيس ص٤ ع١٩و٢٠) فقُيّدوا بالقيود وضُربوا وجُلدوا ومُزقوا بالسياط وقُطعوا بالسيوف وعُلقوا باذناب الخيل وشووا على الحديد المحمى وصُلبوا واُلقوا في حلل الزيت المغلي وطُعنوا بالرماح والحراب وسُلخوا احياء فهذا كلما قد توقعوه من الاجر والثواب في هذه الدنيا *

لكنهم حالما بارحوا الحيوة واذا بدمهم كبزار اُلقي في الارض فنمى في كل اقطار المسكونة وتأصلت به الوف الوف من المؤمنين وملايين ملايين من المسيحيين . فقسرًا عن غضب المغتصبين الذين في مدة ثلاثة اجيال كوامل متوالية اصدروا اوامر في كل الاصقاع والاقطار بقتل المسيحيين وملاشاة الدين المسيحي قد رأينا العلماء افواجًا افواجًا والحكماء اجواقاً اجواقاً اشتهروا بالمدافعة عن هذا الدين معترفين بيسوع المسيح ومثبتين بسفك دماءهم حقيقة تعاليم الرسل الالهية . ورأينا الملوك والسلاطين

ارباب الاحكام والتدابير واهل المجالس والدواوين والكهنة والاحبار والسادات العظام والستات الشريفات والنسا المخدرات والممالك باجمالها والارض بكمالها ساجدةً ليسوع المصلوب مؤمنةً باسرار ديانته الفايقة اطوار العقول *

فكيف اذاً قد امكن حدوث تغيير هكذا سريع . فان كان هذا باعجوبةٍ فاذاً يقتضي ان تكون هذه الديانة من الله لانه لا يفعل المعجزات الاّ الله وحده . وان كان بدون اعجوبة فيقول القديس اغوستينوس انها لاعظم العجائب ان يؤمن العالم بدون اعجوبة بمجرد كلام اثني عشر رجلاً جهلاء اميين بامور جزيلة الصعوبة وبعيدة التصديق *

ثانياً . فضلاً كلما تقدم القول عنه . انه اذا ما فحصنا فحصاً صحيحاً خالياً من كل ميل وغرض فنرى جلياً بانه فيما بين سائر الاديان عموماً انما في الديانة المسيحية وحدها توجد سمة اللاهوت ومن ثم هي وحدها حقيقية وفيها وحدها يمكن الخلاص . فان كانت كاذبة فحينئذٍ يكون الله ذاته يغشنا الامر الذي هو عين المحال *

فاذاً لا اكون خاطرت بشيء اذا ما امنت بهذه الديانة وانما اخاطر بكل شيء ان لم اؤمن بها . فكل شيء يقنعني انه يجب عليَّ الايمان بها . فما من انسان قد ارتأى وما من احد قد افتكر بان يؤلف كتباً ليقنعني بانه قد وجد ملك اسمه اغستوس قيصر وانها وجدت مدينة تُدعى الاسكندرية . وما من احد قد مات ليجعلني ان اؤمن موقناً بصحة ذلك . ومع هذا فاني اصدق

بذلك واثقا . لكنه لكي أؤمن بيسوع المسيح واقتنع بديانته ، ارى اكبر العلماء قد صنّفوا تآليف لا تحصى عددا وملايين من الشهداء قاسوا الموت . فاذاً لماذا لا أؤمن بها *

فيقتضي ان يكون الانسان اعمى لكي يشك بصحة ديانة قد ايدها الله بالنبوات والمعجزات وامضاها كثيرون من مشاهير الناس بسفك دماهم وثبتها فحول العلما وفطاحل الرجال واعتنا فيها الملوك وعظما الارض ودافعت عنها الامم والشعوب والغزاة المظفرون بقيمة حياتهم *

اما ادلّة الديانة المسيحية فهي هكذا بيّنة جلية حتى انه قد يمكن القول على نوع ما انها زايدة الوضوح والبيان وان الله تعالى قد تجاوز الحدود ليجعلها معروفة . ان شهاداتك صادقة جداً (مزمور ٩٢ ع ٥) * لكن هذه الادلة هي دائماً وابداً مبهمة لدى الذين لا يحكمون على الامور الالهية الاّ بموجب شهواتهم وتأثيرات حواسهم . قال الكتاب * ان الانسان الحيواني فلا يقبل ما لروح الله لان له جهالة ولا يستطيع ان يعرف (قرنتية اولى ص ٢ ع ١٤) *

* الفصل الثامن *

* في اوهام الكفرة العديمة الاستناد *

اولاً . ان الديانة المسيحية لا خصم لها الّا من كان عدوًا للفضيلة . على ان اعظم الكفرة لا يقدرون ان لا يعتبروها ولقد كانوا اعتنقوها لولا انها ترذل فسادهم وتشجب طرقهم المعوجة . لكنه ان كانوا لا يقدرون ان لا يعتبروا الذين يعيشوا فيها عيشة مسيحيةً حقًا فلماذا لا يؤمنون بها نظيرهم . فان كان جنونٌ شجب حيوة المسيحي المقدسة فليس هو اقل جنونًا رذل ما يؤمن به ذلك المسيحي *

فيقال ان مبادي الديانة المسيحية هي مخيفة وان اسرارها ليست الّا اموراً مبهمة بعيدة التصديق . ومع هذا فاننا نرى المسيحي الحقيقي العارف بديانته مقتنعًا اقتناعاً اكيداً بها . على انه يقول ان تلك الامور الموهوم ابهامها تأتي بانوار عظيمة للعقل وان هذه الاسرار معاذ الله ان تكون بعيدة التصديق ويمتنع الايمان بها . فقد آمنت بها الناس في ازمنة كانت المغتصبون تنهي عن الاعتقاد بها حتى وتحت عذاب القتل . فيقول انه بقدر ما يزداد ايمانًا بهذه الاسرار بقدر ذلك تبان لديه حقيقية . وانه بقدر ما يؤمن معتقدًا بها بقدر ذلك يرى انه من الواجب ان يؤمن بها وانه مستعد ان يثبت صدقها ويؤكد صحتها بسفك دماه . واخيرًا يقول ان حيوة الانسان المسيحي معاذ الله ان تكون قاسية وصعبة مخيفة بل بعكس الامر

فهي حلوة عذبة ذات راحة وسلام وانه لا يريد ان يعيش عيشة مغايرة لها ولو ملك الدنيا باسرها . فهذا ما يجب على الكفرة ان يذوقوه ويمتحنوه وان يرتشدوا بموجبه ويتعلموه *

ثانياً . يقول الكافر افهل يجب ان اعتمد على الكهنة والعلماء لكي اتعلم وارتشد وهل يليق ان اثق بهم لكون وظيفتهم هي ان يعلموا ويبشروا . اما انا فاني اجاوبه قايلاً . ترى اذا ما رمت ان اتعلّم علم الهندسة أيجب ان اعتمد على معلم لكون مهنته هي التعليم . واذا ما كنت مسافراً في البحر أيجب عليّ ان اعتمد على مدير دفةٍ لكون مهنته هي ادارة المركب . واذا ما كنت في دعوى وخصومة أيقتضي ان اعتمد على المحامين المعتبرين والفقهاء المشاهير لكون مهنتهم هي اعطاء الراي والجواب على المسائل الشرعية . لعمري . فكاني بك قايلاً . ما هذا الّا برهان مجنون وتعليل من كان احمق معتوه العقل . والحال ان الكفرة يتعللون باقبح من هذا التعليل . لان الديانة المتوقف عليها امر ابديتهم من شانها ان تهمّهم اكثر من سائر الامور كافةً . لكون امور الدنيا لا طائل تحتها *

قل لي نشدتك الله . بمن يختص تعليم الديانة وعلى من يجب الاعتماد بذلك ان لم يُعتمد على من قد اختص بهم تعليمها . فبمن يختص تعليم الفقه وقوانين الحرب الّا باولئك الذين قد أُعدّوا لتعليم الاصول الشرعية والقوانين الحربية . فان كان لم يؤذن لكل انسان ان يعلّم الشرايع البشرية أفهل يقتضي اقل احتراساً واعتناءً وخضوعاً وامتثالاً لتعليم الشريعة الالهية *

فينبغي ان تكون الكفرة كثيري الاغراض والاوهام اذ انهم يحاربون الديانة ببراهين هكذا باطلة وتعليلات هكذا فارغة . فان الديانة لا تكون الّا خداع محض ووهم صرف اذا ما ساغ لكلٍ ان يفهمها على كيفهِ وحسب توهمات عقلهِ واحلام مخيلتهِ . فانها لا تكون عمل الله الحق ان لم يكن الله تعالى قام قهارمةً لكي يعلّموها وينذروا مبشرين بها *

خبرونا عن كافرين كانا يتحادثان بامر الديانة . فغب ان اوردا ايرادات فارغة وحكايات باطلة وخزعبلات عجائزية قال احدهم للاخر : بالحقيقة يا صاح لقد افرطنا بالمقال وتجاوزنا حدود البحث والجدال . ما هو مآل هذه التعليلات الجنونية والايرادات الخزعبلية . فالحق الصحيح العاري عن كل شبهة وريب هو انه لو كنا على اقل جانباً من الخلاعة لكنا مسيحيين اكثر مما نحن عليه *

فمتى قدّمت لنا الكفرة اناساً من جماعتهم متسامين قداسةً كما يوجد بيننا والّفت علماؤهم تآليف راهنة نظير تآليف عواميد بيعة الله العظام نظير تاليف باسيليوس ذلك المعظم . والذهبي الفم المفخم . واغوستينوس المبجّل وغيرهم من مشاهير العلماء الكرام فحينئذٍ يحق لهم طلب الاصغا الى مقالهم . فانه لفخر عظيم للديانة المسيحية كون اخصامها واعدائها ليسوا الّا سفسطيين ومفسودي الخصال مرذولين *

ثالثاً . يقول المنافق ترى ماذا يفيد الاعتقاد بالديانة المسيحية طالما نرى كثيرين ممن يؤمنون بها يعيشون في حال الخلاعة والفساد . فاننا نجيب عن هذا قائلين

اولاً . انه اذا كان مثل المسيحيين الذين يستسيرون سيرة ردية هو للكافر سبب للهذوء والازدراء فمثل اهل الصلاح المعتقدين بالديانة المسيحية هو لذلك الكافر سبب الخزي والاحتقار . ثانياً . انه يوجد فرق عظيم بين الخالع والكافر . على ان كل كافر هو خالع في عقله او رأيه . لكن لا كل خالع بكافر . فالكافر لا ايمان له . فكيف يمكنه الاقتراب من الله بدون ايمان وبالعكس فالخالع الذي يعتقد بالديانة يوجد فيه ايمان . فان اعمته الخلاعة واوصلته الى ان يشك بالايمان ويخسره فحينئذٍ . يكون هذا تتمة تعاسته في هذه الحيوة *

يقول الغير المؤمن لو كان بي ايمان لامنت بكلما تعلمه الديانة . لكن ترى لماذا لا يوجد فيك ايمان نظير كثيرين من الانام الذين لا يُحصى عددهم . اوليك الذين مع انهم اسمى منك عقلاً واكبر منك فضلاً يخضعون عقولهم للديانة . فالايمان هو هبة من الله فلا ينكرها تعالى على كل من يلتمسها بصدق وخلوص . لكنه لكي تنالها ينبغي ان تكبح شهواتك وترتب اميالك . انك لن ترى اصلاً طالما يحجب البرقع عينيك . ارفع برقع اللحم والكبريا برقع الرذايل والفساد الذي كحجاب . سميك يحجبك من ان ترى قداسة الديانة المسيحية وبهاءها . فحينئذٍ تفهم وتتأكد بانه ما من شيء اكثر تعقلاً واجزل مطابقةً للصواب نظير الايمانٍ بما تعلّمه هذه الديانة . وانه ما من شيء يجدي تعزية وسلوانا من العيشة بموجب تعاليمها المقدسة *

* الفصل التاسع *

* في الايمان وفي اسبابه وقواعده *

اولاً . ان سعادتنا في هذه الارض لا تتوقف بان نكون اغنياء او علماء . والّا لكانت الاراطقة والمبتدعون والكفرة والمنافقون اسعد واغبط منا لانهم يضاهون سائر الناس عقلاً ومالاً . لكن سعادتنا انما قايمة بان نكون مسيحيين وان نكون في طريق الخلاص . والحال ان الايمان هو الذي يجعل الانسان مسيحيًا . وهو رأس الخلاص وبدءه . هو اسّ رجائنا ودعايم املنا . ثم وبه يقترب الانسان من الله وبدونه لا يستطيع احد ان يرضي الله ويخلص (عبرانيون ص ١١ ع ٦) *

فالقديس بولس الرسول يدعو الايمان نعمة الله وهبة من لدنه تعالى . لان الايمان لا يُنال بالعلم والبرهان . فانه نور يرينا ما يجب ان نؤمن به وهو فائق الطبيعة لان المعارف والمعلومات المعطاة لنا من الايمان ليست اصلاً نظير المعارف المقتبسة بالدرس والمطالعة . فهو فائق الطبيعة في مبداه لاننا نلناه بواسطة نعمة يسوع المسيح . وهو فائق الطبيعة في موضوعه لان الحقائق التي يبيّنها هي فوق فهمنا البشري . وهو فائق الطبيعة في سببه وعلته لانه يجعلنا ان نؤمن ونعتقد استنادًا على قول الله تعالى ووحيه الالهي *

فاني اذا ما امنت لاني ارى واشاهد الامر الفلاني وافهمه

وادركه. او اذا ما امنت استناداً على قول احد الناس فلا يكون ايمان فيَّ لان السبب حينئذٍ ما هو الَّا بشري طبيعي . لكن اذا ما امنت لان الله قال ولانه تعالى يخاطب فحينئذٍ يكون فيَّ ايمان *

والحال اني متأكد بان الله يخاطبني ويكلمني متى سمعت صاغياً لبيعته المقدسة اي للرعاة اولوا المقام الاول فيها الذين اقامهم تعالى ليعلّموا الناس ويكلموهم من قبله. قال السيد له المجد : اذهبوا وعلّموا الامم . فمن سمع منكم فقد سمع مني : فاذاً لا يأمرني الله بان اسمع لعلماء الارض وحكمائها بما اختص بالايمان لكنه يحصر امره بالاستماع للبيعة . فباستماعي العلماء والحكماء يمكن ان اغلط لكنني لا اغلط ولا انغش اذا ما سمعت للبيعة. لان السيد المسيح قد اوعد بانه يكون معها الى انقضاء الدهور . ولهذا قال القديس بولس الرسول * انها عامود الحق (تيموثاوس اولى ص ٣ ع ١٥) *

ثانياً . فاذاً عدم فهمنا وادراكنا احدى الحقائق الدينية ليس هو سبب للارتياب بها . فانه يكفينا ان نعرف بان ذلك هو تعليم البيعة . بل بالحري عدم ادراكنا اسرار الايمان هو داعي للاعتقاد بها . أما يقول لنا الاناء المصطفى ان الايمان يقدّم لنا ما لا نراه * ان الايمان هو برهان على ما لا يرى (عبرانيون ص١١ ع١) * وان الايمان صار فيه ابرهيم خليل الله ولم يعلم اين يذهب (عبرانيون ص ١١ ع ٨) * قال القديس غريغوريوس الكبير : انه لا فضل في الايمان لو

علمت اسراره بقوة العقل البشري : *

فالله تعالى لا يُدرك فيما هو عليه ولا فيما قد صنع بل وانه تعالى هو دايماً وابداً عجيب في ادنى الاشياء واحقرها . وعجيب في اعظم الاسرار واسماها . مثلاً اذا ما الزمنا تعالى بان نؤمن بانه توجد في الاسرار قوة الهية وفايقة الطبيعة فما ذاك الا ليواضع كبريا عقلنا ويفهمنا جوده الكلي القدرة وانه موافقةً لضعفنا يخفي عظمته وحكمته اذ يفعل مفاعيل هكذا عجيبة في مادة هكذا ضعيفة *

فاسرار الديانة هي لجج تبتلع الذين حملتهم الجسارة الى ان يتدهوروا فيها . قال الروح القدس * لا تطلب ما يفوق طاقتك ولا تفحص عمّا يعسر عليك نيله . لكن اطلب ما امرك الله به وتفكر به دائماً ولا تفحص عن كثرة اعماله . لان ليس يجب عليك ان ترى بعينيك الاشياء المكتومة .... لان اشياء كثيرة ظهرت لك تفوق فطنة الناس (ابن سيراخ ص ٣ ع ٢٢ الخ) * فاذاً كيف تدرك اسرار الله *

فان تكن اسرار الايمان فوق العقل فمع ذلك انها لا تضاده . معاذ الله من ذلك . لانه بقدر ما يؤمن العقل بها بقدر ذلك تنيره وتكمله . لكنه انما ما يضاد العقل يقول القديس برنردوس هو ان نطلب فهم ما يفوق العقل *

ثالثاً . انه خاص بالرعاة اولوا المقام الاول في بيعة الله تعالى اي باكبر الاعظم والاساقفة فحص ما يليق تقديمه للمؤمنين تحديداً وترتيباً لمعتقدهم . لان الله تعالى قد اقام هولاء الروساء قضاةً في

الايمان ومعلمين له . اما نحن فسبيلنا ان نقول كما قالت المسيحيون الاقدمون وهو: ان كلما نعلمه هو ان نسمع للكنيسة ونؤمن بل ونموت لاجل الايمان . لكننا لا نعرف ان نجادل به : فجماهير الاراطقة قد حادوا عن استقامة الايمان وغاصوا في بحر الضلال بابتعادهم عن هذه القاعدة والقانون . وكثيرون من العلماء والفهماء قد هلكوا بهذا القبيل . وكثيرون من اهل العقول ذوي الدعوى الباطلة لزعمهم انهم قادرون على ادراك حقايق الايمان وفصلها وتمييزها قد فضّلوا حكمهم الذاتي واراء بدعتهم على حكم رعاة الكنيسة اولوا المقام الاول . واذ توهموا زاعمين بانهم يتبعوا ضميرهم بل بالحري ووهم الذاتي سقطوا اخيراً في الحفرة التي احتفروها لانفسهم *

فالقديس بولس الرسول قد سبق وانبأ عن ذلك . والقديس اغوستينوس قد شاهد ذلك في اتباع ماني بل وكل الاعصار والاجيال قد رات هذا وشاهدته في علماء كثيرين كذبة اولئك الذين تحت ظاهر فضيلة خداعة وبتفوههم دائماً عن الحق والمحبة والاصلاح وباستعارتهم اقوال الكتاب المقدس قد غشوا الانفس . لاسيما قد خدعوا النساء اللاتي من طبعهنّ حب البحث والتفتيش والعجب بالذات وحب الشهرة والامتياز *

فلا نندهلنّ من ذلك . فالايمان قد كان دائماً ويكون ابداً موضوع لسهام الاعداء تارةً بواسطة الدول واهل الخلاعة واخرى بواسطة الخداعين المرائين . ولا نندهلنّ ايضاً متى شاهدنا

اناساً ذوي عقول سامية قد سقطوا في الضلال واقتنصوا بفخاخ المكر والخداع . فلزيادة كبرياهم قد اصرّوا على فساد رأيهم . قال القديس اغوستينوس : انما الانام المشاهير هم الذين يبدعون الارطقات وهذا ما من شأنه ان يغش الشعب *

فاريوس ونسطور وبيلاجيوس واوطيخا وغيرهم كثيرون كانوا يُعدّون من اهل الصلاح على انهم كانوا من مشاهير الناس وذوي عقول سامية وقرايح جوادة . انهم كانوا ذوي عقول ذكية حيث قد استطاعوا ان يجذبوا معهم ارباب الاحكام ويجذبوا اليهم الملوك والسادات والاساقفة والرؤساء . وبالحقيقة لاشك ان لوثيروس وكلفينوس كانا ذوي عقول سامية حيث استطاعوا ان يجذبوا الى ضلالهم عدداً هكذا عظيماً من الملوك والسادات والامم والشعوب واقنعوهم بان تعليمهم انما هو تعليم الكتاب المقدس وتعليم الاباء القديسين . فما قد شوهد في الاجيال الماضية نشاهده الآن وسوف نشاهده دائماً وابداً . قال القديس بولس الرسول *انه لا بد من ان يكون الانشقاقات ليظهر فيكم المختارون (قرنتية اولى ص ١١ ع ١٩) * فالويل لمبتدعي تلك الارطقات . الويل للذين اصحوا فريسةً لها *

فينبغي ان نرجع دائماً الى هذا الحد ولا نبتعد عنه اصلاً وهو انه لا يختص بالعلماء وذوي العقول الثاقبة الحكم بامر الاعتقاد . لكن انما الحكم للذين قد فوّضهم المسيح هذا السلطان . اعني بهم اولئك الرعاة اصحاب المقام الاول في بيعته المقدسة . فان كان الذين يقاومون معتقدات الديانة واحكامها هم ذوي

عقول ثاقبة . لعمري فالشيطان هو اكثر عقلاً منهم ومن كان ذا روح شرير متكبر متمرد ليس هو باقلّ من شيطان *

فسقوط ترتوليانوس هو مثل يستحق الذكر فينبئنا عن ضلال العقل البشري . فان هذا الرجل العظيم الشأن قدكان فريد عصره وزمانه علماً ومعرفةً وكان مثلاً لبنيان مؤمني عصره بقداسة حياته . لكنه عجب في نفسه وتباهى في ذاته فابى الاصغاء لبيعة الله المقدسة . فخاطبته هذه البيعة فلم يستطع الاقتناع بان الكنيسة تخاطبه . فاصرّ على ضلاله واخيرًا سقط هو نفسه في الفخ الذي قد كان خلّص منه كثيرين . لعمري ترى ما الذي يجب ان نفتكره بهذا العلّامة الجليل الشأن . وآسفاه لقد قال القديس ايرونيموس : ان كلّما يمكن الحكم به هو ان ترتوليانوس لم يُعدّ من رجال الكنيسة : فكان الاولى به ان يكون تلميذاً بسيطاً من ان يكون عالمًا علّامة *

فمتى عثر الانسان في امر المعتقد وتمسّك بحزبه فانه يعسر عليه الرجوع والارتداد لانه يتعامى الى هذا الحد حتى انه يعتبر تأديبات الكنيسة كاضطهادات . فليقابل هولاء ويماثلوا انفسهم بالقديس اثاناسيوس ويوحنا فم الذهب الذين قد قاسيا الاضطهاد لسبب مدافعتهم عن حقوق الله تعالى . فان مؤمنًا بسيطاً ساذجاً لا امتياز له بين الناس ولا في بيعة الله تعالى اذا ما آمن بايمان ذي خضوع وامتثال لما تقدّمه البيعة المقدسة لا بدع انه يعلو مقاماً ويسمو شرفاً على كل اوليك المتفلسفين المتكبرين *

فيا ما اعظم نعمة الايمان ويا ما اثمنها . لعمري هل نستطيع

ان نشكر السيد المسيح ونحمده حمداً وشكراً كافيين على دعوته ـ
ايانا الى نور ايمانه العجيب مفضّلاً ايانا على كثيرين لم يبرحوا
في ظل ظلام الموت . فاذا ما داهمتنا التجارب ضد الايمان
فلنخضعنّ عقولنا لهذا الاله المخلص قائلين له . اني أومن
يا ربي من كل قلبي *

* الفصل العاشر *

* في ان الايمان الحقيقي هو في حضن الكنيسة * * الرومانية المقدسة *

اولاً . انه منذ انشاء الكنيسة الى الآن قد وجد مما ينوف عن مايتين بدعة من الارطقات وما من احدهنَّ الاَّ وادّعت مفتخرة بانها على هدىً وذات ايمان حقيقي مستقيم وان فيها كلام الله وانها البيعة الحقيقية . ولا غرو انه سوف توجد بدعٌ وارطقاتٌ الى منتهى الدهور وكلٌ منهنَّ تدّعي عين هذا المدّعى . فمن الواضح البيّن بانه ممتنع محال ان تكون كل هذه البدع بيعة الله الحقيقية . لانه حسبما يعلمنا القديس بولس الرسول ان الايمان واحد . وكما ان الحق واحد وان يسوع المسيح واحد فكذلك لا توجد الاَّ بيعة واحدة حقيقية *

ثانياً . لكنه كيف السبيل لتوصُّل الى معرفة الكنيسة الحقيقية فيما بين كنائس لا عدد لها كلٌ منهنَّ تدّعي بانها الحقيقية . فيقتضي اذاً ان نبحث عن تلك الكنيسة التي اقامها المسيح تلك التي ثبتت دايماً ولم تخرج من كنيسة اخرى بل انما منها خرجت باقي الكنايس الاخر . تلك التي رذلت دايماً الاضاليل وشجبتها والتي هاجت ضدها وحاربتها سائر الارطقات . تلك التي قبلت مفاتيح السما وسلطان ربط الضمائر وحلها وفعل المعجزات والايات وطرد الابالسة والشياطين . واخيراً تلك التي بموجب امر السيد المسيح ذاته قد بشّرت

دايماً وابداً بالانجيل * علّموا كل الامم (متى ص ٢٨ ع ٢٠ *

فاذاً سهل علينا ان نرى بان كل هذه المزايا والسمات لا تليق الّا بالكنيسة الرومانية . على انها قد بقيت وثبتت دائماً وانها تتصل بتسلسل احبارها الى الرسل والى المسيح نفسه . فهي لم تخرج من كنيسة اخرى اصلاً وكل باقي الكنايس خرجت منها . فقامت سائر الارطقات ضدها وهاجت عليها دايماً وهي لم تبرح ثابتة غير متزعزعة راشقةً اياهنّ بصواعق الحرم والرذل . فترى الارطقات المنفصلة عن هذه الكنيسة تحتمل اضاليل بعضها على وجه التبادل مساعدةً بعضها ومتحدةً سويةً لمحاربة هذه الكنيسة المؤبدة القرار . امّا الكنيسة الكاثوليكية الرومانية المقدسة فلم تتحد اصلاً ولم تشترك مطلقاً مع شيعة اخرى ذات تيه وضلال . لان الكنيسة الحقيقية بما انها عامود الحق فهي دايماً وابداً عدوة الضلال *

فلما اعرض الملك طيباريوس قيصر على ديوانٍ رومية ان يقيم المسيح في عدد الهة المملكة فضادد الديوان رأيه . ولم يكن ذلك الّا لان يسوع المسيح ذاته لم يشأ ولم يؤذن بان عبادته تختلط مع عبادة الالهة الكذبة . كما وانه لم يؤذن ابداً بان كنيسته تتحد بالاعتقاد مع المبتدعين وارباب الارطقات ولا ان يختلط تعليمها مع معتقداتهم . ولهذا لا تستطيع الكنيسة الرومانية ان تحتمل تغيراً ولا قسمةً ولا اختلاطاً في ايمانها وآدابها *

فانما لبطرس وكخلفاء بطرس ومن ثم لاساقفة رومية قد أُعطي سلطان المفاتيح ولا معارض له على الارض . السلطان المطلق بحل وربط وبربط وحل الرعاة انفسهم اي اساقفة الكنائس

الخصوصية . فانما لبطرس ولخلفاه بطرس اي لاساقفة رومية قد قيل : ارع خرافي . ارع نعاجي : اي جميع اعضاء القطيع النعاج والرعاة معاً *

أما ان الكنيسة الرومانية وحدها تقدم في تاريخ سيرة قديسيها عجائب من كل نوع وجنس . عجائب في كل البلدان . عجائب مقرّرة ومثبتة بشهادات متنوعة حتى ومن الكفرة انفسهم والمنافقين وكالاراطقة والوثنيين . عجائب في كل عصر وجيل . عجائب اكثرها هكذا واضحة جليّة . هكذا ساطعة متلالئة . هكذا علنية جهارية حتى ان من نكر صحتها فانه ينكر اوضح الواضحات ويكذّب جميع المؤرخين *

واين ما قديسين لم يظهروا في حضن هذه الكنيسة المقدسة . فتاريخها يؤكد ذلك . فقد ظهر في حضنها قديسون لا يُحصى عددهم . فربّتهم وهذّبتهم وعلمتهم قديسيين في كل دعوة ومكان وزمان . فقد علّمتهم ان ينتصروا على اشدّ الشهوات واوصلتهم الى اعلى درجة من الكمال قسراً عن عظم وكثرة الصعوبات التي وجدت داخلهم وخارجهم *

وعدا هذا كله . فالكنيسة الحقيقية لا حدود لسعتها وامتدادها . فيجب عليها حسب امر المخلص ان تبشّر كل خليقة بالانجيل . ليت شعري أفهل تفعل الاراطقة ذلك . ولو فُرض انهم ارادوا ذلك أفهل انهم يتجرأون عليه ويقدرون . فترى من اعطاهم سلطان التبشير والانذار * فكيف يبشّرون ان لم يرسلوا (رومانيون ص ١٠ ع ١٥) * فالقديس اغستينوس كان يتفوه

قايلاً : هات نبحث لنرى ما هي الكنيسة الحقيقية . أيقتضي ان نوقن مصدّقين بانها هي حفنة من اناس يتبعون اراء انسان او بدعة ، محصورة في زاوية من الارض . فلنستعلم من يسوع المسيح ذاته مستفهمين . فانه يقول لنا : ان انجيله الطاهر ينبغي ان يُبشر به في كل المسكونة . فوالحالة هذه . فعلى من يجب ان يُبشر به الاّ على كنيسته . أما هذا ما تفعله الكنيسة الرومانية *

فان ايمان هذه الكنيسة الكاثوليكية المقدسة الكنيسة الرومانية المعظمة منذ زمان الاناء المصطفى قد بُشّر به في العالم كله . والدليل على ذلك ما قد قاله هذا الرسول العظيم لاهل رومية * ان ايمانكم قد ذاع في الدنيا كلها (رومانيون ص ١ ع ٨) * فمن ذاك الحين والآوان . أما ان هذه الكنيسة المقدسة قد بشّرت بالانجيل دايماً في كل المسكونة . أما انها لاجل هذا امتازت متشرفةً باسم كاثوليكية جامعة . بهذا الاسم المجد والصفة الكاملة المعظمة التي تَرومها الاراطقة لنفسها . لكنهم لم يتجاسروا قط ان ينسبوه لانفسهم . لانه على ما قد قال القديس اغستينوس اذا سأل رجل اجنبي واستعلم مستفهماً اين تجتمع الكاثوليكيون . لعمري فما من اراتيكي يتجاسر ويشير الى كنيسته او الى محفله*

ثالثاً . لكنهُ اذا ما قال المبتدعون كما قد قالوا و ادّعوا في سائر الازمنة والاجيال بان الكنيسة الرومانية لم تبقَ على ما كانت عليه وانها قد سقطت . فالقديس اغستينوس يجاوبهم قائلاً : ياللوقاحة غير المستطاع احتمالها . ما هذا المدّعى . أفهل ان الكنيسة الكاثوليكية لم تبقَ ولم تثبت ولم تعد على ما كانت

عليه . فانما انتم ايها الاشقيا والمنكودون الحظ لم تبقوا على ما كنتم عليه منذ ما برحتم ان تكونوا من عدد ابنائها المغبوطين . فهذه الكنيسة تثبت وتبقا بدونكم . اما انتم فلا تستطيعون الابتعاد عنها بدون ان تهلكوا . كيف تسقط هذه الكنيسة الوطيدة الاركان والموبدة القرار وقد وعدها ابن الاله الحق بان يكون معها الى انقضاء الدهور (متى ص ٢٨ ع ٢٥) * لعمري أفهل لبدعة مبتدع قال المخلص الفادي: اني اكون معك الى انقضاء الدهور : *

ان الكنيسة المقدسة الكاثوليكية كنيسة رومية الرسولية هي الآن على ما قد كانت عليه دايماً وابداً من الايمان . فقد يمكن تغيير طقوسها وتهذيبها اما تعليمها وآدابها فهي غير قابلة التغيير والتبديل . لانها اذ قد أُسست من يسوع المسيح نفسه فايمانها لا يخلّ ولا ينقص ولا يتزعزع . فالسيد المسيح له المجد كان مع هذه الكنيسة منذ الابتداء ويكون معها ايضاً حسب وعده الى الانقضاء *

فقد اخذت الكنيسة الكاثوليكية المقدسة اسم كنيسة رومية خاصةً . لانه عن هذه الكنيسة قد قال من كان داهيةً على المبتدعين وضربةً على الاراطقة والمشاقين اعني به القديس ايريناوس ذو الفضل الشهير وتقوه منذ اكثر من خمسة عشر جيلاً قائلاً: ان هذه الكنيسة الرومانية هي ام سائر الكنائس ومعلمتهن . فانها ام لان عموم جمهور المؤمنين هم ابناوها ولان رئيسها المنظور هو اب عام لجميع المسيحيين ولان اغلب الكنائس الخصوصية مديونة لها بالرسل

والمرسلين الذين شيدوهنّ . وهي معلمتهنّ لانها تعلم جميعهنّ ولان جميع الكنائس الاخر الخصوصيات قد استقين من ايمانها التعليم الذي هو عين تعليمها . فبايما حجة قد خرجت الاراطقة عن سلطانها وحادوا عن تعليمها . أفهل بروح الله تعالى تتمرد الابناء على امهم وتتجاسر التلامذة على تعليم معلمهم *

* الفصل الحادي عشر *

* في اعتبارات وملاحظات على انشاء الكنيسة وتشييدها *

اولاً . انه لدى اعتبارنا انشاء الكنيسة الرومانية وتأملنا تشييدها وملاحظتنا نجاحها ومدتها . ولدى مشاهدتنا بان القديس بطرس هامة الرسل الكرام كان رجلاً غريباً اجنبياً مجهولاً غير معروف قد جاء الى مدينة رومية عاصمة مملكة كانت ملكة العالم وسلطانة المسكونة . فوضع فيها كرسي الكنيسة الاول تجاه احد المغتصبين اعدى اعداء الديانة المسيحية واقدرهم . ولدى مشاهدتنا الملوك الوثنيين قد هاجوا وحاربوا مدة ثلثة اجيال متوالية هذه الكنيسة المؤبدة القرار بقوة وعزم قادرين على ملاشاة اقوى الممالك واقدرها . ولدى مشاهدتنا المملكة الرومانية التي لحد ذلك الحين والآوان اظهرت علامات الحلم والرأفة حتى نحو اعدائها انفسهم قد غيّرت حالاً اخلاقها وبدّلت مزاياها . واذ خرجت عن كل حدود الانسانية ارتجت وهاجت وجرّدت اسلحتها مدة اجيال متتابعة على ابناء هذه الكنيسة الغير المتزعزعة وحاربت ساعية بذبحهم وقتلهم فيما انهم كانوا احسن رعاياها واكثر رعاية لامورها وامانةً في طاعتها . فانها لم تعف ايضاً حتى ولا عن البابوات الذين اكثر من ثلاثين حبراً منهم قاسوا عذاب الاستشهاد مدافعة عن هذه الكنيسة وكل ذلك لم يمنع امتدادها ولم يؤخر سرعة نجاحها وتأييد اركانها .

ولدى مشاهدتنا من جهة اخرى هذه الكنيسة قد حوربت منذ انشائها من جم غفير من اراطقة ومبتدعين ورأت في حضنها شكوكاً باهظة وانشقاقات جسيمة وفساداً قبيحاً . وانها قسراً عن كل ذلك قد حفظت دائماً وابداً الايمان ذاته هو هو عينه وحفظت عبادة الله في كل نقاوتها وطهارتها . فترى ما الذي ينبغي لنا ان نقوله سوى انه لا يوجد الاّ اله وحده يمكن ان يكون مبدعها ومنشيها . وانها هي اعجوبة دائمة ومعجزة ثابتة . وان ذلك الاله وحده الذي انشأها وشيّدها هو يعضدها ضد قوة البشر وخباثتهم * انه من قبل الرب كانت هذه وهي عجيبة في عيوننا (مزمور ١١٧ ع ٢٣) *

ثانياً . ان يسوع المسيح يعضدها بمعونته وبالسلطان الذي اعطاها اياه . فبهذه المعونة وهذا السلطان السامي حفظت هذه الكنيسة دائماً الاتحاد في اعضايها والحق في معتقداتها والقرار في مدة دوامها *

فاولاً الاتحاد . فالمملكة المنقسمة العارية عن الاتحاد والخضوع لا قيام لها ولا ثبات . فهذه هي حال الاراطقة . فلا اتحاد لهم . فتراهم دايماً منقسمين مرتابين في معتقداتهم لا كنيسة لهم ولا رأس شرعي يتّحدهم ويجمعهم ويضع لهم حداً . فانهم يحاكون سفينة لا مدبر لها تقذفها الارياح حسب الصدفة والتقادير . بل انها تحاكي عائلة لا رأس لها وجيشاً لا قائد له ولا نظام ولا ترتيب *

اما نحن معاشر الكاثوليكيين فلسنا على هذه الحال . فاننا نقرّ بيسوع المسيح ونعترف به ونحني روسنا له . بما انه رئس

بيعته الغير المنظور. لكن هذه الكنيسة هي منظورة فيقتضي لها ايضاً رأس منظور يدبرها ويتحدها لكي تكون رعية واحدة تحت تدبير راعٍ واحد اعني به راعي الرعاة انفسهم *

فقد قال يسوع لبطرس هامة الرسل * ارعَ خرافي ارعَ نعاجي (يوحنا ص ٢١ ع ١٧ و ١٨) * ثبّت اخوتك (لوقا ص ٢٢ ع ٣٢) * فقد اقام هذا الرأس المنظور نائباً له على الارض في شخص بطرس وسائر الاحبار خلفائه بنوع ان كل المؤمنين وسائر الاساقفة والمطارين المتحدين بهذا الرأس ليسوا الّا رعية واحدة . وكل الكنائس الفرعية في المسكونة كلها المتحدات بهذه الكنيسة الام الاصلية ليست الّا كنيسة يسوع المسيح الواحدة . اما الكنائس المنفصلة عنها فما هي الّا بدع وشيع ضالة وليس بيعة الله *

ثانياً الحق . ان الكنيسة وحدها لها السلطان بان تعلّم حقايق الخلاص لكل امةٍ وقبيلةٍ . فهي عامود الحق لان ايمان بطرس الحقيقي لا يبرح منها ولا ينقصها ابداً . فهي تكون دايماً في سدته وتنير العالم دايماً وابداً . فالاساقفة المقامون من الروح القدس باتحادهم في هذا الكرسي الرسولي لا يعلّمون الضلال اصلاً لان السيد له المجد قد اوعد بانه يكون معهم الى انقضاء الدهور . اي نعم قد يضل بعض الاساقفة لكن متى حادوا تعليماً عن تعاليم كرسي بطرس الرسولي *

ثالثاً تأبيد القرار . ان دوام الكنيسة هو نتيجة مواعيد المسيح القائل * انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي وابواب

الجحيم لن تقوى عليها (متى ص ١٦ ع ١٨) * ان ثلاثة من ابواب الجحيم قد انفتحت ضد هذه الكنيسة . وهي الاضطهادات والارطقات والخلاعة . فارادوا ظلمها واهانوا رعاتها وضاددوا تعليمها وارائها . لكن هذه الكنيسة بما انها مؤسسة من السيد المسيح على ايمان بطرس فانها ثابتة لن تتزعزع . فاعداؤها قد نهضوا دائماً ضد هذا الايمان الرسولي وينهضون دائماً ضده لكنهم لا يزعزعونه . لان السيد المسيح قد صلّى لكيلا ينقص اصلاً *

فلنستنتج من هذه المبادي ثلاثة نتايج *

النتيجة الاولى . ان الكنيسة الرومانية بما انها عمل الله . فلنتنج ان كلما تأمر به هو مقدس وكل ما تصنعه واجب الاكرام والاحترام وكلما تقبله وتصادق عليه صالح وكلما تلعنه وترذله هو شر . فاذا ما اضطرت الى ان تحتمل خللاً وسوء تصرف واستعمال في حضنها فانها تنوح على ذلك وترذله . فلننتحب ونبكي معها . ولنتج من ههنا بان الازدراء بعبادتها وبممارستها الدينية والاستهزاء بالغفرانات والاستعفا من شرايعها وتاديباتها ثم الهرب من شريعتها واحكامها وتعليمها انما هو تصرف انسان جاهل او كافر او اراطيكي . قال السيد المسيح * كل من لا يسمع من الكنيسة فليكن عندك كوثني وعشار (متى ص ١٨ ع ١٧) *

النتيجة الثانية . انه متى اتحدنا قلباً وعقلاً بالسادات الاساقفة الكرام المتحدين هم انفسهم بالكرسي المقدس وبسدة القديس بطرس هامة الرسل فاننا نحوز التعزية والسلوان بمعرفتنا اننا ابناء الكنيسة الحقيقية وان فينا الايمان الحقيقي .

فلندع جانباً الاغصان الميتة المنفصلة عنها ولنلتصق بالاصل اي بالشجرة المكينة العديمة السقوط . قال القديس ايرونيموس : اني لا اعرف لا السيد بولينوس ولا فيتاليس ولا ميلسيوس بل اني اتحد بسدة القديس بطرس الرسول *

النتيجة الثالثة . فلنحمد الاله القدير المتعال على ما انعم علينا بان نولد في حضن كنيسته المقدسة . فقد افتخر وتباهى افخر ملوك الارض باعتبارهم اياها اماً لهم . نائحين على حال اوليك التعيسين الذين انفصلوا عنها . ولا نكن اشقياء منكودين الحظ حتى نشين هذه الام المقدسة بحيوة اثيمة *

* الفصل الثاني عشر *

* في الفرق الموجود بين الكاثوليكيين وبين * * جماعة الاراطقة المشاقين *

اولاً . ان الكاثوليكيين هم متأكدون بانهم في حضن كنيسة يسوع المسيح . لان الكنيسة الكاثوليكية تستطيع التوصل من جيل الى جيل حتى الى يسوع المسيح نفسه وذلك بسلسلة رعاتها المتخلفين عن بعضهم . اما الاراطقة فلا وجود لهذا الانعام لهم . على انه قبل لوتيروس وكلفينوس لم يكن وجود للاراطقة اللوترانيين والكلفونيين . كما وان كنائس باقي الاراطقة والمبتدعين اذ كانت حديثة فليست اذاً هي كنيسة يسوع المسيح *

ثانياً . ان الكنيسة الكاثوليكية لها راس منظور اقامه يسوع المسيح في شخص بطرس هامة الرسل . اما كنيسة الاراطقة فلا رأس لها منظور اذ كانت منفصلة ومنشقة عن سدة بطرس الرسول . فاذاً لا تستطيع ان تكون كنيسة يسوع المسيح *

فان كانت الاراطقة هزواً بنا واحتقاراً لنا يدعوننا باباويين وسمّوا الكنيسة المقدسة المذهب البابوي . فانه في ذا يقوم فخرنا وخزيهم . لعمري ترى هل يجهلون بان يسوع المسيح قد اعطى كنيسته راساً منظوراً واباً عاماً اعني به قداسة الاب الاقدس الذي اقامه حبراً عظيماً لكنيسته حيث قد وجّه خطابه الى بطرس قائلاً * انه عتيد ان يبني عليه بيعته ويعطيه مفاتيح ملكوت السموات (متى ص ١٦ ع ١٨) * وانه من واجبات بطرس ان يرعى خرافه

وغنمه(يوحنا ص ٢١ ع ١٦ و١٧)*وان يثبّت اخوته بما انه لا ينقص ايمانه (لوقا ص ٢٢ ع ٣٢) * فاذاً يحق لنا الافتخار بخضوعنا وامتثالنا لذاك الذي قد اقامه لنا يسوع المسيح راعياً اولاً ومعلماً اولاً ونايباً له على الارض . لعمري ان الاراطقة لفي ضلال مبين وعمىً فظيع اذ يقاومون السلطان الذي اقامه وأيده المسيح *

ثالثاً . ان القديس بولس الرسول في الاصحاح العشرين من اعمال الرسل يقول*ان الروح القدس قد اقام الاساقفة ليرعوا بيعة الله (ابركسيس (ص ٢٠ ع ٢٨) * فالكاثوليكيون قد خضعوا دايماً لجمهور الاساقفة . وقد كانوا دائماً تحت تدبير الاساقفة وتدبير الحبر الاعظم . اما الاراطقة فبالعكس قد بغضوا دائماً الاسقفية ولا هم تحت تدبير اسقف ولا تحت ولاية الحبر الاعظم وان كان بعض رعاتهم قد حفظوا اسم اساقفة فهم ليسوا متحدين براس الكنيسة . فاذاً ليسوا هم من كنيسة الله *

رابعاً . ان ايمان الكنيسة الكاثوليكية هو واحد في كل مكان . اي نعم ان طقوسها وتدبيرها وادارتها مما يقبل التغيير والتبديل لكنه لا تغيير اصلاً ولا تبديل مطلقاً في ايمانها . اما معتقد الاراطقة فليس هو واحد في كل مكان بل انه يختلف حسب اختلاف البلدان واختلاف البدع والارطقات واختلاف الخدمة الذين يعلمونه . انه منذ ابتدا الاصلاح الموهوم قد كتب دي ديسكور الى صاحبه بيز قائلاً : ان جماعتنا كقشة تحركها الارياح . فلربما قد يمكن ان يعرف الانسان ما هو اعتمادهم

الآن على الديانة لكنه لا يقدر يتأكد ما يكون اعتمادهم غدا: ليت شعري بايما شيء تتفق هذه الكنائس التي خرجت بالحرب للبابا . فانك اذا ما استقرأت متتبعاً جميع بنود تعاليمهم من اولها الى اخرها فلا تجد احدها معداً معتقداً من الايمان عند بعضهم الّا ويرذله الاخرون كتعليم مفعم نفاقاً *

وقد كتب كلفينوس الى ميلانكتون : انه من اهمّ الامور ان لا تعلم الاعصار المقبلة بما هو بيننا من الانقسامات . لانه امر يُضحك منه ويهزأ به غاية الاستهزاء وهو انه بعد ان خاصمنا الجميع نكون على ما قل من الاتفاق فيما بيننا وذلك منذ مولد اصلاحنا : *

خامساً . ان الكاثوليكيين لهم قاعدة اكيدة لتحديد ايمانهم . على انه متى حكمت الكنيسة الرومانية فكل كاثوليكي صادق يخضع ممتثلاً لحكمها ومن لا يخضع طايعاً فليس بكاثوليكي . فالقديس اغستينوس كان من عادته ان يقول هكذا : قالت رومية فانتهت الدعوي . اما الاراطقة فبعكس الامر لا قاعدة لهم لتحديد ايمانهم . فيتباهون مفتخرين بان عندهم الكتاب المقدس . لكن لعمري ترى هل انهم يفهمونه . وكيف يفهمونه . فالقديس بطرس الرسول يقول* اعلموا هذا اولاً ان كل نبوة في الكتاب ليس من تأويل المؤوّل (بطرس ثانية ص ١ ع ٢٠) * ويستدلى قايلاً عن رسايل القديس بولس * انه فيها بعض اقاويل عسرة الفهم التي اولئك الذين ليسوا علماء ولا ذوي عصمة يعوّجونها كما سائر الكتب ايضاً هلكةً لانفسهم

(بطرس ثانية ص ٣ ع ١٧) * اما الاراطقة فكلٌّ يدّعي تفسير الكتاب. فيعطي هذا تفسيرًا ويعطي الاخر ضدّه *

وقد اخبر لوثيروس ذاته بانه في نفس زمانه وجدت بين الابروتستانت سبع تفاسير مختلفة لهذه الكلمات وهي : هذا هو جسدي : فبعضها يوافق وجود يسوع الحقيقي في سر الافخاريستيا وغيرها مضاد لهذه الحقيقة . ليت شعري ترى لايهما ينبغي التصديق . فجماعة الابروتستنات في اميركا يفسرون الكتاب المقدس في معنى وفي انكلتيره يفسرونه بمعنى اخر . فاذاً لا يستطيع الكتاب يحدد ايمانهم *

فكان العلامة ترتوليانوس يقول هكذا : ان تفسيري الانجيل هو صحيح صادق ومارسينوس يدّعي الخلاف موكداً ان تفسيره هو الصحيح . فمن هو الذي يضع حداً لذلك ويوافقنا . فاذاً يقتضي وجود سلطان منظور يضع حداً للعقول لتقرّ عند حد : فهذا انما هو سلطان الكنيسة وليس هو عقل كل من الناس على حدته *

قال القديس اغسطينوس : اني لا أؤمن حتى ولا بالانجيل ان لم يأمرني بذلك سلطان الكنيسة . وبالحقيقة ان كنت لا اقرّ معتقداً بان الكنيسة هي لسان الله ذاته . لسانه مقلدة سلطته . لسانه المعصوم عن الغلط ومقامة لحفظ وتفسير امانة الحق . فكيف يمكنني ان اعرف . اولاً . ان كانت توجد حقيقة الوحي . وان كان يوجد كتب وتقليد متضمّن هذه الحقيقة . واين يوجد هذا التقليد . واين هي هذه الكتب . افهل انها كتب موحاة .

وهل ان هذه الكتب التي تقدّم لي بانها موحاة هي صادقة صحيحة . أما انها محرّفة . وهذه سوالات يجب عليّ ان اسال بها واحلها قبل ان ارى ذاتي ملتزماً بقرأة الكتاب . ولا يمكنني حلّها بدون مساعدة سلطان معصوم من الغلط مقام من الله لينيرني *

والدليل على ذلك هو ان الكاثوليكيين عندهم اسفار مقدسة ستون وكلفينوس حذف منها سبعة ولوثيروس حذف اربعة عشره فمن هو الذي يحسم المسئلة . فكيف يمكنني ان اعرف الحقيقة واحكم على صحة عدد هذه الاسفار بدون ان استشير سلطان يمكنني الخضوع له بدون خوف من الخطاء والضلال *

وما قد قلناه عن اسفار الكتب المقدسة ينبغي ان نقوله عن كل مسئلة تختص بالكتاب ووحيه . وينبغي ان يُقال عن كل حقيقة متضمنة في الكتاب المقدس . فالكاثوليكيون عندهم قاعدة معصومة عن الغلط التي تحدد لهم كل هذه المسائل وهذه القاعدة هي سلطان البيعة وتعليمها . ولهذا فانهم يتمسكون بالحقايق ذاتها فانهم يؤمنون الآن بما امنوا به امس وما امنوا به منذ ماية سنة بل ومنذ الف وثمانماية سنة . اما الابروتستانت فهم معدومون هذه القاعدة المنزهة عن الغلط ومن هنا تتأتى في ايمانهم هذه الاختلافات الغير المحصاة وفي معتقداتهم مباينة الاتحاد . فيزعمون بان روح الله يهديهم . ليت شعري أفهل ان روح الله هو روح الانقسام والمضادة والضلال * فمن اثمارهم تعرفونهم (متى ص ٧ ع ١٦) *

سادساً . فللكاثوليكيين سبب فايق الطبيعة لايمانهم . فانهم يؤمنون لا استناداً على نور عقلهم الذاتي بل استناداً على قول السيد يسوع المسيح الذي يأمرهم بان يسمعوا من الكنيسة . اي ان يسمعوا من الرعاة ذوي المقام الاول الذي اقامهم الروح القدس لتدبيرها . فمن سمع منهم فانه يسمع للسيد يسوع المسيح وهذا هو السبب الفايق الطبيعة . فليس الامر هكذا عند الاراطقة . فايمانهم مبني على سبب طبيعي بشري او بالاحرى غير مبني على سبب . لانهم لا يعرفون لا كيف يؤمنون ولا لماذا يؤمنون . فلا سبب لهم في اعتقادهم الّا رأيهم وعقلهم الذاتي . والحال ان هذا السبب ليس بكافٍ للايمان لانه بشري وانه يلقي في قلب الواحد شيئاً ويلقي في قلب الاخر خلافه بل ضده *

سابعاً . ان اعمال الكاثوليكيين الصالحة هي مقبولة من الله متى كانت حسنة العمل لان فيهم ايماناً . ولهذا يسعى الشيطان اللعين بزرع الزوان في بيعة الله تعالى وبايجاد الرذيلة ومنع المؤمنين عن عمل الاعمال الصالحة . قد زرع الزوان في وسط القمح (متى ٢٣ ع ٢٦) * اما اعمال الاراطقة الصالحة فبعكس الامر فانهم حتى ولو فعلوا المعجزات كما كانت تدّعي الدوناتيسيين فاعمالهم غير مقبولة من الله لان القديس بولس الرسول يقول : انه بلا ايمان لا يستطيع احد ان يرضي الله (عبرانيون ص ١١ ع ٦) * ولهذا لا يمنعهم الشيطان عن عمل الاعمال الصالحة وعن وضع حسن النظام والترتيب لكنه يمنعهم

من ان يكون فيهم ايمان . فالاعمال الصالحة اجدت نفعاً لكورنيليوس لانه كان يطلب الايمان . ولقد كانت تجدي نفعاً للاراطقة لو طلبوا الارتشاد والهدى الى الايمان الحقيقي . فرغبتهم هذه نحو الايمان وبدايتهم به كان من شانها ان تقربهم من الله *

ثامناً . فاذ كان لايمان الكاثوليكيين كل صفات وسمات الايمان الحقيقي فاذاً من الواضح الجلي للعيان انه يمكن الخلاص فيما بينهم . واذاً من الواضح البيّن بانه لا امكانية للخلاص عند الاراطقة حيث يمتنع الخلاص بدون الايمان الصحيح الصادق . فكثيراً ما قد اعترفت الاراطقة واقرّوا بان الخلاص ممكن في حضن الكنيسة الرومانية . اما الكاثوليكيون فبعكس الامر يؤكدون بانه لا امكان للخلاص عند الاراطقة . فان هولاء لعلى ضلال مبين وعمى فظيع بعدم اتخاذهم الطريق الامين ورجوعهم الى حضن الكنيسة الكاثوليكية التي خرجوا منها *

تاسعاً . فبما ان الاراطقة استقروا باننا نحن معاشر الكاثوليكيين نستطيع الخلاص فينبغي ايضاً ان يقرّوا معترفين بان فينا ايماناً حيث انه بدون الايمان لا يقدر الانسان يرضي الله ولا يخلّص نفسه . والحال ان كان فينا ايمان فاذاً هم لا ايمان فيهم لان الايمان واحد وهم ليسوا على ايماننا . فاذاً لا ايمان فيهم *

فيقولون ان فيهم ايمان لانهم يؤمنون بيسوع المسيح فنجيبهم قايلين : ان الاراطقة الاريوسيين والبيلاجيين والنساطرة وغيرهم قد ادّعوا دائماً قايلين . بانهم كانوا يؤمنون بيسوع

المسيح . ولوثيروس وكلفينوس ادّعيا ذلك واراطقة عصرنا يدّعون هذا المدّعى عينه . لكننا نبيّن لهم بثلث حجج بانهم على ضلال مبين *

اولاً . ان مَن لا يؤمن بجميع معتقدات الايمان بل انه يقبل بعضها ويرفض بعضها فايمانه لا يُعد ايماناً بيسوع المسيح . فاننا لم نجد في الانجيل هذا الاستثناء بامور اساسية قد اخذ عنها الاراطقة لكيلا يؤمنوا و يعتقدوا الاّ بما يسرهم ويرضيهم *

ثانياً . فمن اعتقد فقط بان يسوع المسيح قد وجد على الارض وانه مخلص العالم فايمانه لا يُعد ايماناً صادقاً بيسوع المسيح بل يجب الايمان بكل ما قاله لنا هذا المخلص الالهي . والحال انه قال لنا بان نسمع من الكنيسة . اما الاراطقة فلا يسمعون من كنيسة المسيح بل من كنيسة حديثة ومن كنيسة اخترعوها لانفسهم ومن كنيسة لم يأسسها يسوع المسيح . فاذاً هم لا يؤمنون به *

ثالثاً . ان من قسّم الايمان وجزّاه وغيّر في المعتقد فلا يُعد ايمانه ايماناً بيسوع المسيح . لان روح الايمان الذي هو شركة روح المسيح هو روح الاتحاد الذي هو دائماً هو هو ذاته . والحال ان روح الاراطقة ليس هو دائماً هو هو ذاته . فقد غيّروا وبدّلوا باعترافهم واقرارهم بالايمان . فاذاً ليس فيهم روح الوحدة والاتحاد بما انهم منقسمون في حقايق الايمان . فقد خرج من ارطقة لوثيروس ما ناف عن الثلاثين بدعة مختلفة . ومن ارطقة كلفينوس كثير من بدع وارطقات . والحال ان التغيير والتبديل في امر الايمان ليس هو ايمان حسب روح يسوع

المسيح الذي هو دائماً هو هو ذاته * ان يسوع المسيح هو امس واليوم وهو الى الابد (عبرانيون ص ١٣ ع ٨) * فالانقسام في الايمان وهجر الكنيسة للتعلق باحزاب مختلفة ليس هو اتحاد بيسوع المسيح . بل ان الانسان على هذه الصورة يفصل السيد المسيح له المجد كما قال القديس بولس الرسول * أفهل انفصل المسيح (قرنتية اولى ص ١ ع ١٣) *

* الفصل الثالث عشر *

* في تشكي الاراطقة الفارغ *

اولاً . ان الاراطقة يتشكّون باننا ندينهم وان دينونتنا لهم خالية من المحبة والرحمة. انه لتشكّي فارغ . على اننا لسنا نحن الذين ندينهم بل انما يسوع المسيح يدينهم . أما قد قال لاسمه السجود * ان من لا يؤمن به فهو يُدان (يوحنا ص ٣٠ ع ١٨)* ومن لم يؤمن يدان عليه (مرقص ص ١٦ ع ١٦) * وان من لم يسمع من البيعة فليكن عندك كوثني (متى ص ١٨ ع ١٧) * فالاراطقة لا يؤمنون . وان آمنوا فلا يؤمنون الّا بما يسرّ خاطرهم ويرضيهم . فانهم لا يسمعون من البيعة . فكيف يجب ان نحكم عليهم . وبماذا يجب ان ندينهم *

ثانياً . أيحق الاراطقة ان يشكوا منا وهم يدّعون لانفسهم الحق بدينونة الكنيسة . فقبل ان تبرز الكنيسة حكمها فما من اراتيكي الّا ويصرّح بالامتثال لحكمها . فلوتيروس نفسه أما انه قد اظهر للبابا لاون العاشر قبل شجبه وابراز الحكم ضده عمق الاحترام نحو الكرسي المقدس . لكنه متى برزت الكنيسة حكمها فلا تعود الاراطقة تقف عند كلامها الاول . فيأخذون بالترفّع والفحص والتدقيق في اذا كان الحبر الاعظم والاساقفة والمجامع حكموا حكماً حسناً . ولماذا وكيف قد حكموا . وفي اذا كان حكمهم مطابقاً للكتاب المقدس ولعوايد الكنيسة القديمة . ثم يصيحون صارخين ويرفعون حجاب الخجل والحيا ويتصدرون للمبارزة .

الامر الذي جعل القديس برنردوس ان يقول : ان لفظة كيف ولماذا هما ينبوع الارطقات : فهذا لعمري لا يُعدّ منك استماعاً للكنيسة لكنك انما تدين الكنيسة . فهذا الحق بامور الايمان لا يختص بسلطان اخر الّا بسلطانها . فكان الملك قسطنطين يقول للاساقفة الكاثوليكيين : لكم ان تحكموا علينا وتدينونا . وليس لنا ان نحكم عليكم *

ثالثاً . ان كانت الاراطقة تشكو منا فنحن لنا اسباب كثيرة تدعينا للتشكّي منهم . فنحن نحاربهم ببراهين قوية وحجج راهنة بروح المحبة فيما انهم هم يحاربوننا بالكذب والزور والبهتان والغش والمكر والخداع . فانه كذب محض وافتراء صرف القول ان الكاثوليكيين هم عبدة اوثان وان عباداتهم هي خرافات وان كنيسة رومية هي بابل وان الحبر الاعظم هو المسيح الدجال وان الاساقفة والرهبان والكهنة هم خدمة الشيطان . فهذا هو ثلبٌ القاه ابو الكذب في قلوب هولاء العميان ضد الكنيسة وضد مسحاء الرب . اما نحن فاننا نغفر لهم ونصلي لاجلهم لانهم لا يعرفون ما يقولون *

رابعاً . وان لنا اسباباً اخرى كثيرة للتشكي . فاننا نرى خدمة الاراطقة ينادون بوقاحة على رؤس شعوبهم هذا القول هاتفين . ان من يغيّر دينه فانه رجل عاطل . فاذاً المسيحيون الاولون الذين كانوا ذوي حيوة مقدسة وسيرة فاضلة كانوا عاطلين لانهم غيّروا دينهم اذ كفروا بدين اليهود وبعبادة الاوثان . فاذاً ينبغي ان نترك اليهود وباقي الامم على

ما هم عليه من الاعتقاد ونترك الكفرة والغير المؤمنين يغوصون في بحر الضلال وان نؤمن موقنين بانهم ان غيّروا فهم عُطّل . فاذاً القديس اغستينوس والاباء القديسون قد اخطوا بترجيعهم الاريوسيين وباقي الاراطقة الى حضن الكنيسة وجعلهم اياهم ان يغيروا اراهم . فاذاً مباح الطمع على هذه الصورة بسداجة الشعوب ومباحة المناداة عليهم بمثل هذا القول المرذول *

لكن ترى ألا يدري هولاء بانهم يشجبون انفسهم بمثل هذا القول . فانما هم انفسهم غيّروا دينهم . فاذاً هم عطل . فقد قالت احدى الستات الشريفات الابروتستانية الى احد المرسلين الكاثوليكيين : بماذا تبشّرون وبما تعظون في رسالاتكم . فاجابها قايلاً : اننا نعظ ونبشّر بما كان يُعظ ويُبشّر به لابائك منذ اجيال قريبة العهد . فاجداد الابروتستانت كانوا معنا في شركة الكنيسة الرومانية . فلماذا قد تركوا هذه الكنيسة امهم . ترى ما الذي فعلته معهم من الشر . فيقولون انهم تركوها لانها تركت تعليم المسيح وعلمت الضلال . لكنهم بدعواهم هذه يكذبون قول المسيح ذاته ويكذبون وعده الرسمي الثابت الى البيعة حيثما يقول * انه معها الى انقضا الدهور (متى ص ٢٨ و ٢٠) * وابواب الجحيم لا تقوى عليها (متى ص ١٦ عـ ١٨) *

فيقولون ان الكنيسة الرومانية قد حرمت مبتدعي بدعهم وطردتهم من حضنها . ليت شعري أما كانت ملتزمة بان تفعل وتتصرف على هذا النحو . أما ان يسوع نفسه يأمر بان نعد كوثنيين وعشارين اوليك الذين لا يسمعون من الكنيسة .

وأمّا يقول القديس يوحنا الرسول * فمن جاءكم ولم يأتكم بهذا التعليم فلا تقبلوه في منازلكم ولا تسلموا عليه فمن سلّم عليه فهو شريكه في اعماله الخبيثة (يوحنا ثانية ع ١٠) . وأما يقول القديس بولس * فان ملاك من السماء يبشركم خلاف ما بشرنا لكم فليكن محروماً (غلاطية ص ١ ع ٨) * وأما انه سلم ايميناوس واسكندر للشيطان لانهما جدّفا وتكلّما ضد الايمان . فاذاً لا يحق للاراطقة ان يتكلموا ضد الكنيسة الرومانية لانها رشقت بصواعق الحرم مبدعيهم الذين قذفوا التجاديق على المسيح وعلى امه البتول الطاهرة وعلى القديسين وعلى الكنيسة وتعليمها *

فلو ارتأى احد خدمتهم بان يبشر بتعليم اخر مغاير لمعتقدهم أما انهم يطردونه من شركتهم . فلِمَ يصعب عليهم لان الكنيسة الرومانية قد طردت من شركتها اوليك الذين كانوا يعلّمون ويبشّرون بتعليم غريب عن تعليمها . لماذا قد سمعت اباؤهم لاوليك المبشرين الذين من قبل انفسهم وبدون سلطان قد افسدوا بلدانهم بتعاليم مفسودة مضرة واقتلعوهم من حضن امهم الكنيسة المقدسة *

خامساً . يقولون ان الكنيسة الرومانية قد حكمت علينا وشجبتنا بدون ان تسمع لنا . لعمري ان ذا لكذبٌ محض . فللكنيسة فهم الكتب الالهية المنزلة . فاذاً هي تفهم وتدرك كل تعليم مضادّ لهذه الاسفار الموحاة . فاذاً لا اقتضاء لان تسمع لشخص المبتدعين . فانهم يبلّغونها

تجاديفهم بتآليفهم واوراقهم وبالقلاقل والفساد الذي يزرعونه في حقل الكنيسة *

فالخليق بنا ان نقول انهم هم انفسهم يشجبون معتقدات الكنيسة الرومانية بدون ان يفهموها، واني اسألهم مستفهماً لماذا يشجبوننا بدون ان يتعمّقوا بفحص ما تقع عليه المسئلة. لماذا مَن هم اكثر علماً ومعرفةً فيما بينهم يسيرون متعامين ويخدعون الشعوب طامعين بسداجتها، فلو كانوا على جانب من الاتضاع وارادوا ان يتعلموا ويرتشدوا بسلامة نية وبدون سوء ظن واوهام كما فعل اناس كثير من مشاهيرهم لكانوا علموا وتاكدوا بانه ما من شيء اجزل تعزية واعظم قداسةً واكثر تعقلاً وصواباً من تعليم الكنيسة الرومانية، فهاك اعتبارَين ابتغي وزنهما بميزان بيت المقدس، فمن شانهما ان يقنعا كل ذي فهم وعقل اذا حكم بدون وهم وسبق ظن *

الاعتبار الاول، ان الذين يتركون تركاً صادقاً حزب الاراطقة لكي يدخلوا في حضن الكنيسة الرومانية فانهم يفعلون ذلك عن سبب مقدس وبقصد ان يخلّصوا انفسهم، وبالعكس فما من كاثوليكي قد ترك قط الديانة الرومانية ليتبع الاراطقة الا عن خلاعة او عن اسباب اخر مخلّة معيبة، ان المسمّى بيكتوس الخادم الابروتستاني من جينوا كان يقول: ان كل هولاء يطلبون بالاحرى شركة الزواج ولا شركة الكنيسة: وبالحقيقة لماذا عصي لوثيروس بيعة الله المقدسة وكفر بنذور رهبانيته وحنث بما وعده لله تعالى أما لكي يتزوج براهبة قد خدعها واخرجها من خلوتها، وهكذا

فعل زونيكليوس وكرامنير وغيرهم المجاهدين بهذه البدعة اذ فسخوا نذورهم وداسوا التزامات درجتهم الكهنوتية واقترنوا بالزواج هياماً بالنساء واحتقاراً بالعفاف . ولماذا فيلبوس اميرهيس الجرماني اخذ لوتيروس تحت اكتناف حمايته واعتنق بدعته وتوغل باضاليله أما لكي يتزوج بامرأة ثانية في حياة زوجته الشرعية . ولماذا هنريقوس الثامن ملك انكلترة بعد ان كتب ضد لوثيروس وحاربه بمدافعته عن الحبر الاعظم . حتى انه استحق من لدن السدة الرسولية لقب محامي الكنيسة الكاثوليكية قد خلع اخيراً نير الطاعة للكرسي الرسولي . أمَّا لكي يطلق زوجته الشرعية ليقترن باخرى ولان الاب الاقدس لم يوافق ميله المفسود . فقد قال العلامة فيدس ويليام الابروتستاني بهذا الشان : اني لاشتهينَّ احتراماً لوطني ان لا اتكلم عن ضعف السبب الذي نتج عنه ادخال الاصلاح الديني في انكلترة . لكنه لامر شهير جداً من ان يضرب صفحاً عنه بدون لوم . فانما هو ميل هنريقوس الثامن المحرم نحو حنه بوليني . فلو ان الشهوة والهوى النفسي لم يستوليا على قلب هذا الملك لكان بقي على صلات الوُّول مع الكرسي الرسولي . فان الانتقال من حضن الكنيسة الكاثوليكية الى بدعة فكثيراً ما يكون بطريق الرذايل . لكن الانتقال من بدعة الى حضن الكنيسة فهو دايما بطريق الفضايل . انتهى *

وقد شهد على ذلك احد الخدمة الابروتستانت في انكلترة قائلاً : ان الذين بايذوا كنيستهم الرومانية ليشتركوا في مذهبنا

فانما هم يلقون خزيًا وعارًا على كنيستنا من ان يزيدونها اعتبارًا ويبعدون منها من اراد الدخول في حضنها : *

فمن اراد حصر الاسباب التي حملت الناس على خلع نير الكنيسة الكاثوليكية واعتناق البدعة الابروتستانية فانه يقول بعدل وصواب مع فريدريكوس الكبير ملك بروسيا خليل فلاسفة عصره فولتير وروسو وغيرهما . فقد قال هذا الملك في كتابه المعروف بمذاكرات براميور : ان الابروتستانية اعتنقت في جرمانيا حبًا بالارباح . وفي انكلترة حبًا بالنساء . وفي فرنسا رغبةً بالتقلب وحب التفتيش والاطلاع على حوادث جديدة . فوالحالة هذه ترى ما الذي يجب ان نفتكر به عن ديانة مثل هذه تُعتنق لاجل مثل هذه الاسباب *

الاعتبار الثاني . ان جميع الكاثوليكيين الحقيقيين تراهم مسرورين راضين في المعيشة في ديانتهم ويحبون الكنيسة الرومانية نظير امهم . فما من احدهم الا ويشتهي من صميم فواده ان يموت في حضنها وفي شركة الاب الاقدس . اعني به قداسة الحبر الاعظم . اما الاراطقة فبالعكس ففضلًا عن انهم لا يعيشون راضين فانك تراهم لحد الموت في نخس ضمير غريب وفي قلق عظيم واضطراب جسيم بامر خلاصهم . فكم قد سمعنا من اناس يوثقون لعنًا وشتمًا اولئك المبتدعين الذين ادّعوا الاصلاح والذين اذ فصلوهم عن البيعة الرومانية قد وضعوهم خارجًا عن طريق الخلاص *

ان قايدَين لوترانيَّين من قواد العساكر اذ كانا في المعسكر

في ابرشية بيزانسون من اعمال فرنسا لدى مشاهدتهما طقوس الكنيسة الرومانية ورياضاتها الدينية قالا بكل خلوص، وسلامة قلب: ان لوتيروس وكلفينوس كانا مقلقَين معربدَين طماعَين. وانهما عوضاً عن ان يبثّا معتقدات، في الكنيسة كان الواجب عليهما ان يتركا الامور على ما كانت عليها دائماً ابداً *

لكن ترى على ايما حال من الرعدة والارتعاش ومن الخوف والقلق ينبغي ان يكون لدى الموت خدمة الاراطقة انفسهم وعلماوهم اذا ما صغوا لصوت ضميرهم. فبيرانجه ذاك الرجل الذي قد سبقهم وحارب وجود السيد المسيح في سر الافخارستيا عرف ضلاله عند الموت فمن ثم هتف صارخاً: وآسفاه ترى كم من الشعوب عتيدة ان تهلك بسبب الاضاليل التي علمتها وكيف يغفر لي الله هلاك نفوس لا تُحصى عدداً عتيدة ان تنهض ضدي في الموقف العظيم: فقد ياس لوتيروس من خلاصه وقبل وفاته كان وامرآته في ليلة مقمرة فارنه السماء ليتامل بها وكواكبها المتلالئة. فاجابها متنهداً الصعداء وقائلاً: واسفاه لا فائدة لنا من جمالها وبهائها: فقالت له: ولِمَ ذلك. أفهل لكوننا نكثنا بنذورنا: فاجابها: وربما ذلك: فقالت له: فينبغي ان نعود اليها: فاجابها: فات الزمان ولات حين رجوع: قال هذا والتفت بحديثه لامورٍ اخرى *

وقد مات كلفينوس بحمى رديئة واضحى فريسة للدود واهلكته قروحٌ انبعثت منها نتانة لم يطق احتمالها الحاضرون. فاسلم روحه الشقية موئساً من الخلاص ومستغيثاً بالابالسة وقاذفاً

من فيه اقبح الشتائم والتجاديف . هذا ما اخبرنا عنه من لا يرتاب بقوله الابروتستانيون وهو يوحنا هاران تلميذه المشاهد ميتته *

أفهل سمعت عن كاثوليكي انه صار ابروتستانياً عند الموت . فكثيراً ما قد دخلت من الابروتستانيين الى حضن الكنيسة لدى وفاتهم . ولِمَ ذلك فينبئنا العلّامة ميلانتون احد المبتدعين . فقيل ان والدته سألته وهي طاعنة بالسن ان كان الاوفق اعتناق الابروتستانية او الموت في حضن الكاثوليكية . فاجابها عن ذلك قائلاً : انه لاهون واسهل العيشة في الابروتستانية . لكن الايمن للانسان ان يموت كاثوليكياً : فما ذاك الّا لان الحق يتضح حينئذٍ ويتبدد الظلام والخداع . ولهذا تبتغي الابروتستانت الرجوع الى حضن الكنيسة . اما الكاثوليكي فانه لا يشتهي الّا الثبات على ما هو عليه لانه على هدًى ولا يقتضي له ان يبدد ظلاماً وخداعاً *

لعمري انه يجب الاعتراف بان حال الاراطقة هي حال يرثى لها . فاننا نتشفق على احوالهم . فانهم لاشقياء تعيسون وانهم لاثمة مذنبون . لكن لانحاولنّ في المقال ان الكاثوليكيين الذين لا يعيشون عيشةً مقدسةً هم اشدّ ذنباً واعظم اثماً واكثر شقاءً وانهم عتيدون ان يُدانوا باشد صرامةٍ وقساوةٍ . فيامعاشر الكاثوليكيين اعتبروا وادركوا عظم الامتنان لله الذي دعاكم الى الايمان المستقيم . فيا لخزيكم ان عشتم في ديانةٍ مقدسة عيشةً هكذا سيئة رديئة نظير مَن لا دين لهم ولا ايمان فيهم . وانتم يا جماهير الاراطقة المنكودي الحظ . نشدتكم الله ارثوا لحالكم .

تشفقوا على ذواتكم . افتحوا اعينكم على حال مصايبكم وشدة تعاستكم ، ادخلوا الى حضن بيعة الله المقدسة ام المؤمنين كنيسة رومية المعظمة . ترى لِمَ تصرّون على هلاك انفسكم *

* الفصل الرابع عشر *

* في انه لا يحق للاراطقة ان يشككوا بسبب *
* خلل الكاثوليكيين *

اولاً . ان الاراطقة يثلبونا بانه يُرى فيما بيننا خلل عظيم وسوء استعمال جسيم . لعمري انه اذا اعتبروا طقوسنا واعدّوا رياضاتنا التقوية خللاً وسوء استعمال فانهم بذلك مخطئون. لان طقوسنا واعمالنا التقوية مقدسة واكثرها تضاهي الكنيسة بقدميتها . فتحتقرها الاراطقة لانهم لا يدركون سرها ومعناها *

فاذا ما دعت الاراطقة سوء تصرف واستعمال خللاً وشكوكاً يرونها فيما بيننا . لا غرو انهم محقون بملامنا . لكنهم يخطئون بالقائهم ذلك على الديانة والكنيسة . ليت شعري هل ان الكنيسة الرومانية تصادق على سوء التصرف والاستعمال وتثبّت الخلل والفساد . فالقديس اغستينوس كان يقول لاراطقة عصره وزمانه : ان الكنيسة لا تفعل ذلك ولا تصادق عليه ولا تصمت عنه . أما ان الكنيسة ترذل كل تعليم وتاليف وممارسة تضاد صحة الايمان واستقامته وطهارة الاداب ونقاوتها . ترى هل من مجمع مسكوني ام غير مسكوني والتئام عمومي او خصوصي لم يكن لاجل اصلاح الخلل ورفع سوء التصرف والاستعمال . ليت شعري ترى لماذا يوجد كذا عدد من الاساقفة والروساء والعلماء والرعاة . أما انه لكي يقاوموا الخلل والفساد وينادوا ضد سوء التصرف والاستعمال *

فلو كانت ديانتنا المقدسة كاذبة بسبب الخلل وسوء التصرف والاستعمال . لعمري لما كانت ديانة حقيقية في الدنيا اصلاً . حيث اننا نرى الخلل والفساد وسوء التصرف والاستعمال والشكوك موجودة في كل مكان . أما قد وجدت اعمال مشككة فيما بين الرسل انفسهم . فقد نكر احدهم معلمه والآخر خانه وسلمه . أيقتضي ان نستنتج من هنا ان جمعية الرسل المقدسة لم تكن كنيسة يسوع المسيح . فان كان يقتضي رفع سوء التصرف والاستعمال رفعاً مطلقاً وان نستأصله استئصالاً تاماً لاقتضى ايضاً رفع كل ما كان جزيل القداسة . لانه ما من شيء يسمو قداسةً ولا ساء البشر استعماله . أما اساء يهوذا الاستعمال في سر الافخارستيا الالهي بحضرة يسوع المسيح نفسه . ليت شعري ترى هل ان المخلص قد ابطل بسبب ذلك هذا السر العظيم *

ثانياً . فالاراطقة لا تورد لنا شيئاً جديداً اذ يحدثوننا عن شكوك توجد فيما بيننا حتى وفي المقامات الرفيعة والوظايف السامية القداسة . فاننا نرى هذه الشكوك وننوح باكين عليها ونذرف الدموع من جرائها . لكن هذه الشكوك لا تصدر من ديانتنا . فانه يوجد بيننا كثير من الانفس القديسة من كل وظيفة وحال ومن كل درجة ومقام . وعدد هذه الانفس التقية البارة انما كثير جداً *

فمن احتقر الكنيسة الرومانية بسبب الخلل الموجود فيما بين ابنائها فانه يدّعي زاعماً بانه لا توجد في الكنيسة الحقيقية سوى اناس منزّهين عن كل خطاء وشائبة . لعمري ان ذا لضلال مبين .

على ان الانسان اينما وجد فهو خاضع لعظم الشقاء واهل للشفقة والمرحمة . فترى اهل الدعوى والمتفلسفين يستهزأون بكل شيء ويشككون من كل شيء . لكن اولوا العقل والصواب ومحبوا شريعة الله وناموسه ينجون من جرى ذلك ولا يشككون بشيء . قال المرنّل * سلامة جزيلة للذين يحبون شريعتك وليس لهم شك (مزمور ١١٨ ع ١٥) *

لعمري انه اذا ما وجد خلل بين الكاثوليكيين فانه يوجد اعظم خللاً واكثر شكاً وفساداً عند الاراطقة . لانه ما من خلل وفساد ذي عواقب مشؤمة وغوائل رديئة وعديم اصلاح نظير الارطقة والانشقاق وفقد الايمان *

وخلا هذه كلها . فبحصر المقال ليس بقداسة الكاثوليكيين وببرارة خدمة الكنيسة بل بسلطان هذه الكنيسة وبسلطان الاحبار الاقدسين وبرعاتها اولوا المقام الاول يتعلق ايمان المؤمنين . فهذا ما كان يدعو القديس اغوستينوس للايمان حتى ان هذا العلّامة العظيم والقديس الجليل كان يهتف قائلاً : اني لا أؤمن حتى ولا بالانجيل نفسه ان لم يأمرني سلطان الكنيسة بالايمان : فتاملنّ جيداً ولاحظنّ معتبراً بانه لم يقل قداسة رعاة الكنيسة بل سلطانها . وهذا ما يثبت مؤيداً بان الكنيسة الكاثوليكية هي عمل الله . لانها بالسلطان الذي قبلته من يسوع المسيح يثبت الايمان فيها بكل صحته واستقامته . فايمانها لا يبرح دايماً مقدساً ودايماً نقياً لا عيب فيه مع وجود الخلل والشكوك . فهذه الكنيسة لا تحتاج بان يصلحها

الاجنبيون لانها بحسب كونها مدبرة من الروح القدس فانها تعتني بدون فتور ولا انقطاع باصلاح الخلل واستئصال الاضاليل بحكمة شرائعها وصحة احكامها *

* الفصل الخامس عشر *

* في ان الكاثوليكيين يبرذلون بعدل وصواب ما تدّعيه * * الاراطقة من الاصلاح *

ان لوثيروس وكلفينوس وسائر المبتدعين قد انتفخوا كثيراً بقولهم انهم قد اقيموا من الله تعالى لكي يصلحوا الكنيسة . فمن هو الذي اعطاهم السلطان وما هو الاصلاح الذي عملوه *

فلو اخذ انسان يصلح الرهبنات قائلاً لجمهور الرهبان : انهم يستطيعون ان يرفعوا من قوانينهم كلّما شقّ وصعب عليهم . وانه يسوغ لكلٍّ تفسير تلك القوانين كيف ما شاء واراد معتمداً على رائه الذاتي وانه لا يقتضي ان يعتبروا تقليدات سلفائهم وما سلّمتهم الانام الكرام من المبادي والتعاليم منذ انشاء رهبناتهم . ويقتضي ان يلبسوا نظير باقي الناس ويخلعوا عنهم الثوب الرهباني وانهم يستطيعون ان يبطلوا الصوم ويفسخوا النذور ويتزوجوا . وانه يجب عليهم ان يدوسوا بارجلهم ويحرقوا ويبيدوا صور مؤسسيهم التي يحفظونها كتذكرة نموذجاتهم . ويجب ان يعيشوا بحريتهم ويستهزئوا بروسائهم ومدبريهم الذين ما هم الاّ بشر نظير سائر الناس . لعمري أفهل يمكن القول بان الرهبنات تترتب وتنتظم بمثل هكذا اصلاح *

فهذا بحصر المعنى ما فعلته المبتدعون بالكنيسة . فانهم اخذوا يرفعون من الكتاب المقدس الذي هو قاعدة الايمان والآداب كل ما شاءوا وارادوا حذفه وتحريفه . وزعموا بان

كلًّا قادر ان يفهمه ويشرحه حسب عقله الذاتي .
فاحتقروا اباء الكنيسة الكرام ولم يعتبروا التقليدات والمبادي والتعاليم التي سلمونا اياها هولاء القديسون العظام منذ انشاء الكنيسة وايام الرسل . فمن سبعة اسرار البيعة لم يبقوا الاّ سرين فابطلوا التوبة والوفاء والاعتراف ومسحة المرضى والصوم والانقطاع عن الرفر والاعياد والذبيحة ذاتها . وعرّوا الديانة من طقوسها وعبادتها الخارجة وهتكوا البتولية والطهارة والنذور . وداسوا بارجلهم صور القديسين وذخايرهم وكسروا الصلبان والاواني المقدسة وتابوت عهد الرب الذي فيه لا ذلك المنّ السماوي بل جسد المسيح ودمه وسحقوا صور المخلص وايقونات امه الكلية القداسة والطهارة . وصرّحوا قائلين : انه يجب على الرهبان والكهنة ان يفسخوا نذورهم ويتزوجوا ويجب الازدراء والاستهزاء بالاساقفة والبطاركة وبالحبر الاعظم والروساء الكنايسيين . ليت شعري أفهل هذا اصلاح ملهوم من الله *

اما مفعولات كذا اصلاح وتاثيراته فلنتعلمها من في لوثيره انه كان يشكو في ويتمبرج قائلاً : انه منذ الانذار بتعليمنا نرى الناس يومياً يضحون ارديا كفرة ويزدادون وقاحة . فكأن الشياطين يتدهورون اجواقاً على الناس الذين مع ضياء الانجيل الطاهر قد ازدادوا اطماعاً وعهارة واضحوا مكروهين اكثر مما كانوا عليه قبلاً تحت سلطة البابا . فاهل القرى والبر والشرفاء فالجميع من كل حال ووظيفة من الاصغر الى الاكبر ترى البخل والشراهة والنهم والسكر والعهارة والفساد

الذي يُستحى منه والشهوات المكروهة عمّت الجميع : (انتهت اقوال لوتير المأخوذة من عظاته التي كتبها في سنة ١٥٥٣) *

فيا ايها الشعوب البايسين ولاراطقة لاشقياء التعيسين . ترى كم يجب ان يُرثى لحالكم لانكم سمعتم واطعتم لمثل هولاء المدّعين لاصلاح . فها انكم اضحيتم بلا حبر ولا اساقفة ولا روساء ولا مذبح ولا ذبيحة ولا ديانة . لانه ما من ديانة الّا ولها ذبيحة وما من ديانة الّا وفيها طاعة وخضوع . ولا يوجد ديانة يُقدم فيها العقل الذاتي وحده كقاعدة . لعمري ترى كم اهاجت خطاياكم العدل الالهي حتى انه سمح تعالى وسلّمكم لهوى انفسكم وضلالكم . وانتم يا معاشر الكاثوليكيين خافوا من ان خطاياكم واثامكم التي قد تكون اعظم واقبح من خطايا غيركم . خافوا من انها تجلب عليكم هذا البلاء نفسه . خافوا من انه تعالى يزعزع المنارة برفعه شعلة لايمان الذي تسيئون استعماله *

* الفصل السادس عشر *

* فيما ارتأته علماء الابروتستانت في الابروتستانية *
* وفي الكنيسة الكاثوليكية *

ان الحقيقة هي ذات قوة للاقناع هذا عظم حدها حتى انها احيانا تحرك شهادات توافقها وتأيّدها من نفس حقل الضلال ذاته وتسلب من اعدائها اقراراً يدافع عنها ضد محاربيها وينتقم لها من تعدّيهم عليها . فهذا ما قد جرى واتفق بشأن سفينة الخلاص عروسة المسيح الحقيقية بيعة الله الكاثوليكية المقدسة . على ان اعداءها وحتى والذين كانوا اول من نشر رايات العصيان ضدها ثم والدّ اخصامها الذين قلبوا المجنّ لمحاربتها . قد تركوا مسطراً بخط ايديهم اقراراً وشهادات تشجب اصلاحهم الكاذب وتحامي عن الكنيسة الكاثوليكية وتثني المديح عليها . وما ذاك الّا شهادة ساطعة مبرزة بشأن حقيقة ونقاوة تعليمها . فهذه الشهادات من شأنها ان تنير عقول من امعن النظر بالحق ورغب حقيقةً بمعرفته . وهاك بعضها نضعه امام اعين القاري *

* اولاً فيما ارتأته علماء الابروتستانت في الابروتستانية *

اً . ان المذهب الابروتستاني لا رأس له . قال دارمست : ان كنيستنا الابروتستانية لم يبقَ لها رأس يملك السلطان والقوة المقتضيين للمدافعة والمحاماة عن ايمانها ضد تعدي اعدائها الداخلين والخارجين عنها . ولا خَدَمة لها يستطيعون

بدرجتهم العالية وبالاعتبار الذي يحرزونه عدلاً وشرعاً ان ينهضوا بهاء جمال رسوماتها وشرايعها وبتعظيمهم اياها في اعتبار العموم يزيدون فاعليتها ونفوذها الخلاصيين (جورنال كنائسي ١٨٢٥) : *

قال كوبت : كيف يكون الايمان واحداً عند جميع الطوائف طالما يوجد في كل طائفة رأس كنيسة ترفع الدعوى اليه ويستغاث به الاستغاثة الاخيرة في كل المسائل الدينية : *

٣ . لا سلطان للمذهب البروتستاني في خدمته . فهاك ما نادى به كابيتون رفيق بوشر في ستراسبورج حيث قد كتب لصديقه فاريل قائلاً : ان سلطان الخدمة قد انتسخ تماماً . نراه يضيع بتمامه ويذهب متلاشياً . فلا توجد فيما بين كنايسنا حتى ولا واحدة ذات نظام وتهذيب . فقد كشف الله عن بصيرتي واعلمني كيف يجب ان يكون الخادم وافهمني الضرر الذي اضررنا به الكنيسة بعجلتنا واحتدادنا العاري عن التعقل ذلك الذي حملنا على ان نطرح عنا سلطان البابا : *

وميلانكتون لدى تأمله الاضرار التي لا بد من وقوعها حال كون الامور على هذه الصورة قد تنهد الصعداء وكتب في رسايله قائلاً : فلتتفق جماعتنا وتسلّم بان السياسة الكنايسية التي بموجبها نقرّ ونعترف بان الاساقفة هم روساء كنائس كثيرة وان اسقف رومية هو رئيس جميع الاساقفة انما هو امر مسموح به . فلا اختلاف بيننا ولا جدال على رياسة البابا وسلطان الاساقفة . فالبابا والاساقفة يستطيعون بسهولة ان يحفظوا هذا

السلطان . لانه يقتضي للكنيسة قواد يحفظون النظام ليسهروا على الذين دُعوا الى خدمة الكهنوت . وعلى تعليم الكهنة . وعلى اجراء الاحكام الكنايسية . حتى انه لو فرض ان لا وجود لمثل هولاء الاساقفة فيقتضي حينئذٍ ايجادهم : وقد قال في محل اخر : ترى ما تكون حال الكنيسة اذا ما غيّرنا كل العوائد القديمة ولم يبقَ لنا اساقفة ولا روساء : *

٣ . ان الابروتستانية لا وحدة فيها . قال ويلمان : انه اذا ما رفعنا الاغراض وتاملنا كل نظام الكنيسة الابروتستانية نرى جيداً بان هذا النظام ينقصه الوحدة والحق : وقال ايضاً المعلم اوربين : يقتضي رئيس اعظم للديانة لكي يوجد السلام والوحدة بين اعضائها . لان الديانة التي في كل بلدة لها رئيس خصوصي تقع حالاً تحت المملكة وتحاكي النظام السياسي وتكون نظير البوسطة والجمرك فتخسر سمة النظام الالهي وتتحوّل الى نظام المالية والسياسة : والمعلم فروريزين قد قال بابلغ عبارة : ان اللوترانية وكنايسها المختلفة وحقها الكنايسي يشبه دودة قطّعت شقفاً . فكلٌّ من تلك الشقف يتحرك طالما فيه قوة . لكنه يفقد رويداً رويداً الحيوة والحركة معاً : *

والمعلم ليهمان قد تأكد ذلك فقال : انه ليس عندنا كنيسة واحدة بل كنايس : *

ولاجل الاختصار نكتفي بما قاله فيت : ان الشيع الابروتستانية المختلفة لا تراها متفقة مع بعضها الّا بانتصابها للعدوان ضد الكنيسة الكاثوليكية . وبتصريحها بان الكتاب وحده هو ينبوع الحق : *

٤ً . ان الابروتستانية لا ادب فيها . قال بيرجير احد علماء الاصلاح الكاذب في كتابه عن ادخال الدين : ان علماء الاصلاح يختلفون في القضايا التي بها تأثير عظيم في حل هذه المسئلة : وهي ما الذي يجب فعله لكي يكون الانسان سعيدًا *

ان عدم الالتفات للدين وعدم الاكتراث به قد صار قانونًا ناتجًا عن احتقار الديانة . ومن ثم قد سبب في اماكن كثيرة ضعفًا ادبيًا ياخذ دائمًا بالازدياد : (هذا ما قاله الابروتستاني ديرمست) : *

ان احدى المياومات الاميريكانية قد اكدت في صحايفها : انه قد خُص الابروتستانت في امر السكر، وهاك الآن التشكيات التي صارت اخيرًا في مجمع بيرلين حيث قد سُطر هكذا : يصحب الاب ابنه الى حان الخمر . والابن اذ ذاك في سن الحادي عشر سنة، ويعلمه ان يدوس برجليه امه المأيوسة، والفاعل الذي بانتخابه عروسة لم يفتكر الّا بالربح يصرّح لزوجته بعد ان يكون ساكنها ثلاثة اسابيع بان الكنيسة التي اقترنا فيها ليست الّا محل الانهماك . والكتاب المقدس حكاية والزيجة لا معنى لها . فيسحب زوجته من فراش الاوجاع ويلزمها باشغال مفرطة ليفني بذلك صحتها ويتخلّص منها (مذاكرات جينيفا كانون الثاني سنة ١٨٥٤) *

فاحد ارباب الصحف المسمّى تيكير قال عن اليمانيا : ان العلة الاولية من الحال التعيسة التي عليها المذهب الابروتستاني

انما هي عدم الايمان . فاغلب اكليروس الابروتستان داخل في محافل الماسونيين . فالديانة الابروتستانية تمارسها خدمة لا يؤمنون بان وظيفتهم هي الهية بما انهم في محافل الماسونيين ينكرون وجود الله : *

قال كينج اسقف لوندرة : اننا بعيدون من ان نكون اسرائيليين حقيقيين لكوننا بالاحرى مقتنعون اقتناعاً كاملاً بنكراننا وجود الله : *

اخيراً قد تشكى لوتيروس بهذه الالفاظ قائلاً يوماً ما في ويتمبير : انه منذ التبشير بتعليمنا نرى الناس يوماً فيوماً يزدادون شراً ونفاقاً ويضحون عديمي الحياء . فتنحدر الشياطين اجواقاً على الناس الذي مع وجود ضياء الانجيل الساطع يزدادون شراً وعداوةً وكرهاً مما كانوا عليه قبلاً تحت لواء البابا وية . فاهل القرى والبر . الحارث والشريف . بل والجميع من ايما حال كانوا . من الاصغر الى الاكبر . ومن الدون الى الاعلى فلا نرى في كل مكان الّا بخلاً وشراهةً وسكراً وعهارةً وخلاعةً وشهوات ممقوتة : فهولاء هم القديسون الذين خرجوا من حضن الاصلاح الكاذب . هذه هي شهادة لوتيروس عينه *

الفصل السابع عشر

* في ما ارتأه علماء الابروتستانية بشأن الكنيسة الكاثوليكية *

أ . ان للكنيسة الكاثوليكية الوحدة في التعليم . يشهد بذلك اولاً زيميرمام قائلاً : اني لا اعرف امراً اكثر خطراً من طلب اجتماع وحدة التعليم والتسليم بحرية المعتقد . فانه لا يمكن اجتماع الامرين الاّ بخراب عظمة الحقيقة المقدسة . فمن ثمّ اني لا ارى بذلك اصلاً طريقة يقتضي اتباعها سوى بان البث متمسكاً تمسكاً تاماً بحرية معتقد الابروتستانت او ان ارجع الى مبادي المذهب الكاثوليكي : *

ومن ثمّ يكون معنى صريح كلامه هو انه يقتضي اما رفض وحدة التعليم . او طلب هذه الوحدة في المبادي الكاثوليكية *

قال المعلم كُبّيرس : ان المذهب الكاثوليكي بتسليمه بالتقليد وبعصمة الرياسة يأول الى وحدة التعليم وثباته : *

قال المعلم فينيت : انه اذ كانت صورة المذهب الكاثوليكي محتوم بها ومتفق عليها فتُقبل وتُحفظ على ما هي . ويعرف الانسان مسبقاً اين وكيف وبايما احوال يجدها . . . . فانه يظهر شيء يصون المذهب الكاثوليكي باسوار ألماسية . وهذا الشيء هو التعليم الواحد *

قال العلاّمة فون هيردير : ان رومية ما انثنت قط امام الارطقة : *

٢ . ان للكنيسة الكاثوليكية سلطة اولى . ان العلاّمة اورين وضع مبدأ بضرورة هذه السلطة الاولى فقال : انه يقتضي للديانة رئيس اعلى لكيما توجد السلامة والوحدة بين اعضائها :

وقد اثبت كومبيت قائلًا : ان يسوع المسيح قد اختار القديس بطرس رئيسًا على كنيسته : وقد اثبت ما تقدم علّامة اخر فقال : اننا لا نقدر ان ننكر بان اباء الكنيسة الاقدمين قد علّموا جميعهم بانه يوجد في الكنيسة اسقف اعلى : وقد صرّح العلامة كيزو بذلك بكل احترام فقال : اني احترم الكنيسة الكاثوليكية احترامًا عميقًا ، فانها كانت مدة اجيال عديدة الكنيسة المسيحية في كل اوربا . فاين كانت حينئذٍ البروتستانية . وهي الآن الكنيسة المسيحية العظيمة لفرنسا . فاني اعتبر مقامها وحريتها وسلطتها الادبية فانها جوهرية كال الدين المسيحي بكماله . فلتحافظ محافظةً تامة على مباديها الاساسية وعلى وحيها وعصمتها بالتعليم ووحدتها الخ . فقد اتضح بان هذا العلّامة الشهير قد جمع بحزمة واحدة كل امتيازات الكنيسه الكاثوليكية على المذهب البروتستاني .
وقال كذلك العلّامة كوزين : اني احني رأسي امام الوحي ينبوع الحقايق الفايقة الطبيعة الوحيد . واني احني رأسي ايضًا امام سلطة الكنيسة مرضعة الجنس البشري والمحسنة اليه . التي لها وحدها قد أُعطي تبشير الامم وترتيب الخصال الجمهورية وتقوية الانفس وضبطها : *

قال العلّامة كيزو ايضاً : ان في المذهب الكاثوليكي روح السلطة . فانه يجعلها مبداء بعزم عظيم ومعرفة نادرة بالطبيعة البشرية . فهذا المذهب هو اعظم واقدس مدرسة وجدت في العالم للاحترام : *

٣ً . ان للكنيسة اداب مقدسة . ان العلّامة كيزو المذكور آنفًا يعتبر سلطة الكنيسة الادبية اي سلطة تهذيب الخصال وتدبيرها امر جوهري لحال النصرانية جميعها . والعلّامة كوزين يحني رأسه امام هذه السلطة عينها التي قد اعطي لها ان تخاطب الشعوب وترتب الخصال الجمهورية وتمكّن الانفس وتضبطها *

لكنه نظرًا للوسايط المستعملة لذلك . قال العلّامة مونتانيه : ان الاعتراف السري هو ممارسة جزيلة الفائدة . وكان مرتبًا في الكنيسة القديمة : قال العلّامة فيدس فيليام : انه بدون منبر التوبة يمتنع قيام الفضيلة والعدل والاداب على اساس ثابت . وانها توجد للكنيسة الكاثوليكية طرق اخرى مفيدة لصيانة الاداب : *

٤ً . عبادة الكلية القداسة مريم البتول وعبادة القديسين *

قال العلّامة فيسلير : انه ينبغي ان نرجّع اعياد مريم البتول . فاني لا اعلم كيف ان اهل الاصلاح استطاعوا ان ينكروا في مريم البتول الطاهرة معظم الحب السماوي : *

وقد قال هذا العلّامة ايضاً : ان من يجثو راكعًا امام ايقونة ويتامل في ذلك القديس المرسوم فيها مقدرة الايمان وسلطة العقل على الحواس لا يُعدّ سجوده اصناميًا . فلا يُعدّ وثني الّا من اعتبر العالم المنظور بالحواس كانه حقيقي . فبناءً على ذلك قد تكون الشعوب المصطلحة وثنيين اكثر من الكاثوليكيين الرومانيين : *

ثم ان هذا العلاَّمة قد استخدم عبارات لربما تكون قوية اذا ما انشأها قلم كاثوليكي فقال : ان اهل هذا العصر المتنوّر لا يخجلون بتسميتهم التكريم المتجه نحو القديسين والذخاير المقدسة والايقونات عبادة اصنامية . فمن يفوه بذلك يبيّن عن ذاته بانه غير قادر ان يشرّف بدعته سوى بثلبه المذهب الكاثوليكي : *

٥ً . ان الكنيسة الكاثوليكية هي جزيلة الحكمة والفطنة بتعليمها الكتاب المقدس : انه لا يخطيء اصلًا اللاهوتيون الكاثوليكيون حيث لا يأذنون بتلاوة الكتاب المقدس الّا بشروط . على انه في الكتاب (اذا ما فهم بسوء المفهومية) وجدت كل الشيع وجميع الشهوات برهانها وتبريرها واسلحتها : (هذا ما قاله احد علما الابروتستانت) *

قال اخر : ان النوا مخبوه تحت طيات ومقفلات كثيرة . انه لكيما نفهم الكتاب المقدس تقتضي لنا معرفة اكثر من اعتيادية . لاسيما نحن الذين مولودون تحت سماء اخرى . فاننا لسنا ذلك الشعب ذاته . ولم تبقَ عندنا العوائد ذاتها والتصورات ذاتها واللغة ذاتها . فاذاما وُضع الكتاب في ايدي الشعب فيضحى دائمًا اشوم هدية واضرها . مالم يُقدَّم للشعب في الوقت ذاته طرقاً يحسن بها فهمها *

❊ الفصل الثامن عشر ❊

❊ في الانشقاق ❊

فبعد ان تكلمنا عن الارطقة يجب ان نتكلم عن الانشقاق ولو قليلاً . فاولاً ما هو الانشقاق . فالانشقاق معناه انقسام وانفصال . قال القديس توما شمس المدارس : يُعدّ الانسان مشاقاً متى انفصل طوعاً واختياراً عن وحدة الكنيسة ورفض طاعة رأسها وابى الابقاء في شركة المؤمنين ابناء الكنيسة المقدسة . فالاراتيكي يأبى الايمان ببعض الحقايق الدينية . اما المشاق فانه ينفصل عن الشركة الكاثوليكية ويخرج عن وحدتها بدون ان ينكر احدى عقائد الايمان. فاذاً قد يكون الانشقاق بدون ارطقة . لكنه من طبعه ان يقود اليها ❊

فمن ثمّ من ولد مشاقاً لا يخطي . لان الولادة ليست بفعل من افعال الارادة . ومن عاش بنية سليمة في حال الانشقاق ولبث ظاهراً متعلقاً بذلك الانشقاق ولم يتوهم بانه من الضلال . فلا يُعدّ هذا خطاءً حيث لا اصرار على الشر . لكن من اعتنق الانشقاق طوعاً واختياراً وترك الكنيسة الكاثوليكية فانه يخطيء خطاءً عظيماً . ومن لبث على انشقاقه وعلم بانه على ضلال . او انه لم يطلب الاستنارة والارتشاد متى اشتبه مرتاباً بضلاله فانه يخطي كذلك خطاءً عظيماً . لان الانشقاق يضحي وقتيئذٍ اختيارياً ❊

ان النية السليمة قد يمكن وجودها في عدد ما من تلك

الانفس البسيطة الساذجة المتوغلة بالجهل . لاسيما في تلك البلدان حيثما تكون جميع السكان على مذهب واحد . لكنه يعسر وجودها في اهل العلم والارشاد . لاسيما في تلك البلدان حيثما وجود المذهب الكاثوليكي يشاهد من اهل الانشقاق . ويوقظ افكارهم ويحثهم على التفحص والاكتشاف *

فوالحالة هذه لا تنخدعن مغرورين . فان الله تعالى يتصفح صفحات القلوب محركاً اياها بنعمته الخلاصية ومهيجاً فيها الوسواس والتوبيخ . فيا من قد ولدت في الانشقاق ولا تزال مقيداً به لا تسدن اذنيك عن استماع صوت الله . فمجرد لقب منفصل ومشاق انما هو سبب كافٍ يحملك على التفحص وامعان النظر *

* الفصل التاسع عشر *

* ان الانشقاق اذا ما كان اختيارياً فانه يُعد خطاءً عظيماً *

ان ابن الكنيسة الكاثوليكية اذا ما اعتنق الانشقاق طوعاً واختياراً فانه يكون جاحداً ويرتكب اثماً جسيماً *

ولِمَ ذلك . فاولاً لان فعله يتضمن عصياناً صورياً على يسوع المسيح لاسمه السجود . لكونه يأمرنا تعالى بالخضوع والطاعة الى الكنيسة المقدسة . فالمشاق يتمرد على سلطانها ويرفض طاعة روسائها *

٢ً . لان هذا الاعتناق يتضمن ادعاءً جسوراً وكبرياء لا تحوز مغفرةً . لان المشاق يفضّل حقيقةً وفعلاً حكم عقله الذاتي على حكم بيعة الله المقدسة المُبرز من روسائها الشرعيين . فانه يشجبهم بفعله ويدعي السلطان الذي ينكره عليهم *

٣ً . لان المشاق يترك شركة اعضاء الكنيسة المقدسة ويعدم نفسه الخيرات الروحية التي هي خاصة العائلة المسيحية ولا يعود بالنظر الى اخوته الّا كوثني وعشار . بل انما هو هو نفسه يحرم ذاته *

٤ً . لان الانفصال عن الكنيسة هو عين الانفصال عن يسوع المسيح نفسه . فعبثًا يعلل الانسان نفسه بالمحال مدعيًا الاشتراك بحبه ووساطته الالهية ان عدل عن الشركة المسيحية التي المسيح راسها والتي بها يريد ان يشركنا بنعمه وانعامه *

٥ً . ان الانشقاق ذنب يعلو ثقلاً على ذنوب كثيرة . لانه

من ذات طبعه جهاري وذي شك . على انه مثل ردي واغراء على الشر . والابلغ من ذلك انه ذنب ينتقل من الاباء الى الاولاد ويفسد السلالة المقبلة لتخلفها بالانشقاق . وكأنه يتوارث على نوعٍ ما كالخطية الاصلية *

٦ . ان الانشقاق يحمل الانسان طبعاً على الارطقة التي انما هي خراب الايمان وتفسد في المسيحي نبع الحيوة الروحية نفسه *

فهذا هو اثم اولئك الذين يعتنقون الانشقاق . وقُل مثل ذلك عن اولئك الذين ولدوا مشاقين وعرفوا ضلالهم ومع ذلك يلبثون مصرين عليه . ومثله قل عن الذين يتهاونون ويستخفون بما يطرقهم من الشكوك . ويأبون الفحص والارتشاد عند الاقتضا *

فاستيقظوا اذاً من سباتكم انتم الذين ترقدون في حضن الضلال . استفيقوا على جهلكم ولا تأخروا ذلك الى تلك الدقيقة المريعة التي تظهرون فيها امام منبر ذلك الديان حينما لا تسعكم المعذرة ولا تستطيعون الاصلاح . على ان الشجرة حيثما تسقط تثبت *

* الفصل العشرون *

* في ان الانشقاق وان لم يكن اختياريًّا فانه بلية عظيمة *

أً . ان من ولد في حال الانشقاق وبقي فيه بنية سليمة فهو اولاً يولد ويعيش فعلاً خارج الشركة المسيحية وخارج عن حضن امنا الكنيسة التي اقامها المسيح مستودعة كنوزه وموزعة نعمه ، ومربية اولاده ، ومحامية الضعفاء . والتي فوّضها ان ترشد وتعلّم وتربي وتهذب وتقدس وتبرر اعضاء جسده السري *

٢ً . كما ان من انقطع ومات مدنيًا عدم حقوق الوطن والانعام والامتيازات التي كانت له لوجوده ضمن الجمعية ، هكذا ذلك الذي ولد وعاش في الانشقاق هو كمنفى خارج الكنيسة ويُعدم الحقوق التي تملّكه اياها صفة البنوة وصفة عضو من اعضاء الجمعية المسيحية ، لعمري انها لبلية عظمى وخسارة جسيمة يُناح عليها *

٣ً . انه لا يبقا له اب واخوة واصحاب ورعاة غيورن يسهرون عليه ويرشدونه ويعلّمونه ويحامون ويدافعون عنه ضد اعداء خلاصه اعني بهم الشيطان والشهوات . فانه يكون ملقى بين ايدي الاجراء ومتروكاً لذاته بدون فطنة وتمييز ، بدون مشورة وبدون دليل هادٍ *

٤ً . فليس عنده نور اكيد لينيره في واجباته . فانه يشك ويرتاب ، فلا يعرف بماذا يجب ان يؤمن ، ولا ماذا يجب ان يعمل ، فانه اما ان يكون جاهلاً لا يعرف ، او ان يشك

مرتابًا . ومن ثم فانه يكون معرّضًا دايمًا للغرق في بحر هذا العالم العجاج . فتراه كمن ركب الامواج وحده ولا مدبر له ولا قائد ولا مساعدة توقيه الاخطار *

٥ . فالمشاق وان يكن مشاقاً بنية سليمة فانه لا يحصل في حال الانشقاق على مساعدة الاسرار التي تمحي الخطايا وترد حيوة النعمة وتشفي امراض النفس وتمنحها القوة ضد التجارب . فاذا ما سقط ذلك التعيس في خطاء مميت فلا يحصل نظيرمن كان كاثوليكياً على مساعدة سر التوبة ولا يحوز نعمة الحل . بما انه لاجل الحل يقتضي سلطان والكاهن المشاق ليس له السلطان . فهذا السلطان انما منوط اعطاؤه بالكنيسة الكاثوليكية وحدها . ومن ثم كل حل ، معطى من كاهن مشاق خارج ساعة الموت هو باطل . لعمري انها لبلية عظمى . فترى من يحسن الافتكار بها ولا ترتعد فرائصه . انه يمتنع على المشاق الدخول في صداقة الله تعالى بدون فعل محبة كاملة او انسحاق تام *

٦ . ان المشاق هو خارج عن حضن العائلة فلا يتمتع بخيراتها وانعامها . فهو خارج الشركة فمن ثم يعدم محاماة الشريعة والسلطة . فهو خارج عن الكنيسة فلا شركة له بفعلها المقدس والمبرّر . فلنبك اذاً نائحين على حال هولاء التعيسين ولا نتهاونن اصلاً بما يأول الى خيرهم الروحي وترجيعهم الى حضن البيعة المقدسة ليشتركوا معنا بنعمة الخلاص *

* الفصل الحادي والعشرون *

* في ما يجب فعله على من كان مشاقاً *

١ً . ان الله تعالى يطلب من كل انسان ان يتّجر بالوزنة المعطاة له وينتفع بالنعمة التي في قبضة كفه . ويستفيد من النور الممنوح له . فيطلب تعالى كثيراً ممن قد أعطي كثيراً . فاذاً على المشاق ان يكون اميناً نحو سنة ضميره . وعليه ان يحفظ ما يعرفه من شريعة الله . وعليه ان يتجنب الخطية ويعتنق الفضيلة بالنور والنعمة المقبولة منه . فهذا هو الفرض الاول الذي فرضه تعالى على من كان مشاقاً *

٢ً . فيجب عليه ان يتضرع ويطلب دائماً ما يحتاج اليه من مساعدة النعمة الالهية لكي يثبت في ممارسة واجباته . على ان الصلوة هي فرض ملزم على كل مسيحي . بل وعلى كل انسان بالاجماع . فان الصلوة ضرورية لئلا يسقط الانسان ولئلا يرجع الى الوراء . وضرورية له ايضاً لكي يتقدم الى ما قدام ولكي يتأهب مستعداً للمستقبل *

٣ً . يجب عليه ان يبرز كثيراً افعال المحبة والانسحاق على قدر ما يستطيع من الكمال . فالله تعالى الذي لا ينكر نعمته على احد فانه يعطيه تلك النعمة اللازمة له اذا ما ابتغاها والتمسها بصدق الطلب *

٤ً . فليحذر من الافتراء والثلب العاري عن كل اثبات ضد الكنيسة الكاثوليكية . فان المحبة هي سمة الدين الحق حتى

ان احتقار الناس وبغضتهم وان كانوا خطاة اشرار فليس هما من الله . فلنرث لحال من كان في ضلال متوسلين لاجله . لكن لا نبغضه اصلاً *

٥ . اذا ما خامرك شك وريب بادرنّ حالاً الى الصلوة والتمس منه تعالى نوراً فياضاً وكملنّ واجباتك بصدق الخدمة . واذا ما بقيت على حال الشك والارتياب فدونك انساناً ذا نورانية فاضلاً كاملاً واستشره . ومع ذلك لا تتهاون بالصلوة . بل اكثرنّ التضرع واتلُ كتباً معتبرة تتكلم عمّا وقع عندك عليه من الشك . ومن استشار اناساً مشاقين واعتمد على كتب توافق الانشقاق فعمله هذا لا يكون طريقة للاستنارة وللوصول الى الحق بمقابلة الحجج الموئدة والمضادة *

٦ . فان كنت تأكدت الانشقاق واخذ نور الحق يشرق في ذهنك . فحينئذٍ تحتاج الى كثرة الشجاعة . فاكثرنّ الصلوة واستشيرنّ رجلاً عاقلاً فاضلاً واقبل ارادة الله . واختر لتتميم ارادة الله سبيلاً لا يضاد التعقل والفطنة ولا تخاطر بشيء وتذكرنّ دائماً ما قاله السيد له المجد : ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه : رددنّ في ذهنك دائماً قوله تعالى : واحدة تعوزك : وافتكر بما ترغب في ساعة الموت ان تكون فعلته *

تمت

فهرس

وجه

الفصل الاول . من هم الملتزمون ان يبحثوا عن الحق وفي كيف ينبغي ان يبحثوا عنه وجه ٤

الفصل الثاني . في ان العقل يقنعنا بوجود الديانة ٨

الفصل الثالث . في عمى الكفرة ١٣

الفصل الرابع . في انه لا توجد الّا ديانة حقيقية واحدة ١٦

الفصل الخامس . في ان الديانة المسيحية هي الدين الحق وانها مقدسة وكاملة ١٩

الفصل السادس . في ان الديانة المسيحية هي الهية في مبدعها فاذاً هي حقيقية ٢٤

الفصل السابع . في ان الديانة المسيحية هي الهية في تأسيسها فاذاً هي الديانة الحقيقية ٢٧

الفصل الثامن . في اوهام الكفرة العديمة الاستناد ٣١

الفصل التاسع . في الايمان وفي اسبابه وقواعده ٣٥

الفصل العاشر . في ان الايمان الحقيقي هو في حضن الكنيسة الرومانية المقدسة ٤٢

الفصل الحادي عشر . في اعتبارات وملاحظات على انشاء الكنيسة وتشييدها ٤٨

الفصل الثاني عشر . في الفرق الموجود بين الكاثوليكيين وبين جماعة الاراطقة المشاقين ٥٣

الفصل الثالث عشر . في تشكي الاراطقة الفارغ ٦٢
الفصل الرابع عشر . في انه لا يحق للاراطقة ان يشككوا بسبب خلل الكاثوليكيين ٧٢
الفصل الخامس عشر . في ان الكاثوليكيين يرذلون بعدل وصواب ما تدّعيه الاراطقة من الاصلاح ٧٦
الفصل السادس عشر . في ما ارتأته علماء الابروتستانت في الابروتستانية ٧٩
الفصل السابع عشر . في ما ارتأته علماء الابروتستانت بشأن الكنيسة الكاثوليكية ٨٤
الفصل الثامن عشر . في الانشقاق ٨٨
الفصل التاسع عشر . في ان الانشقاق اذا ما كان اختيارياً فانه يُعدّ خطأً عظيماً ٩٠
الفصل العشرون . في ان الانشقاق وان لم يكن اختيارياً فانه بلية عظيمة ٩٢
الفصل الحادي والعشرون . في ما يجب فعله على من كان مشاقاً ٩٤


O.P.P

